السنة الثالثة　　　العدد ١٦　　　١٥ آب سنة ١٩٠٠

المشرق

الدواعي لغنى اللغة العربية

لحضرة القس الفاضل ادي مليا ابرهينا الكلداني

انَّ اغنى جميع لغات الدنيا المعروفة باتساع الفاظها اصلًا وفرعًا واشتقاقًا هي بلا مراء اللغة العربية حتى جاء في مثل انَّ العربيَّة لا يحكمها الَّا نبي. فاحببتُ ان انبّه على شيء من الاسباب التي تجعل هذه اللغة الجليلة غنيَّة واسعة

١ انَّ اللغة العربيـة كانت قبل ان تُجمع وتدوَّن في بطون الاوراق متفرّقة في اماكن مختلفة من البادية بحيث كانت قبل ان يُوشر في جمعها لغات عدَّة تختلف بعضها عن بعض اختلافًا اعظم ممَّا هو الواقع الآن بين لغات العراق وسوريَّة ومصر وبلاد الغرب. فالذين كان المرجع اليهم في غريب اللغة وفي الاعراب والتصريف هم بنو قريش وقيس وتميم واسد وهذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين. واما اللغة نفسها فيتبيَّن انَّها أُخذت عن ألسنة جميع القبائل. وممَّا يؤيّد ذلك وجود اسماء كثيرة للشيء الواحد واللفظ المشترك وهو اللفظ الواحد الدالّ على معانٍ كثيرة عديدة مثل لفظ « الخال » الدالّ على ثلاثين معنى ولفظ « العجوز » الدالّ على اكثر من تسعين معنى وغير ذلك. والاضداد ان يطلق اللفظ الواحد على الشيء وعلى ضدّه وذلك كلمتَ الشيء اذا كتبتهُ ولمتّهُ اذا محوتهُ. فالاول في لغة بني عقيل والثاني في لغة سائر قيس. فلا بُدَّ من انَّ السبب في وجود المشترك والاضداد ومئات من الاسماء للشيء الواحد هو تعدُّد القبائل اذ تكون هذه القبيلة وضعت هذا اللفظ لمعنًى وأُخرى لمعنًى آخر او تكون هذه سمَّت هذا الشيء باسم والاخرى سمَّتهُ باسم آخر. فاقول انَّهُ لمَّا بوشر في جمع اللغة العربيَّة دوَّن جامعوها كلَّ ما كان تتلفَّظ بهِ كلُّ قبيلة من قبائل العرب. وانَّما من ذلك حصل وجود مئات

من الاسماء في العربية للشيء الواحد. وهذا مما يجعل العربية واسعة البضاعة

٢ السبب الثاني الترخيم وهو إهمال القسم الاخير من الكلمة تفنناً في اللفظ. وامثال الترخيم كثيرة في العربيّة منها قولهم:

حسيَ في حسّ. وتجمّى في تجمّع. وفصى في فصَل. وفظِيَ في فظّ. وتنفضّى في تنفضّض. وتقبّى في تقبّب. وقنا وقبِيَ في قنّ وقند. ولسّا في لسم. وبزّى في بزّن. وتمطّى في تمطّط. وتظنّى في تظنّن. والسادي في السادس. والخامي في الخامس. والزوّ في الزوج. والدّخ في الدُخان. وشجا في شَجب. ووصى في وصلَ. وشحا في شحَر. والشما في الشمع. وصرا في صرخ. وخجيَ في خجلَ. وغير ذلك كثيراً جدًّا

٣ السبب الثالث القلب وهو عبارة عن تقديم او تأخير احد حروف اللفظ الواحد مع حفظ معناه ومن امثلتهِ قولهم بمعنى واحد :

فنا وقفا. تكلّى وتكيّل. التخطَ واختلط. مدَقس ودمَقس. طَسم وطمس. لطِمَ ولمطَ. جبذَ وجذبَ. ذبحَ وبذحَ. برشق وشبرق وشربق. بضحَ وعضبَ وبعضَ. قطّب وقبّط. نحتَ ونحتمَ. حثِف وحفث وفحث. شلط وطلش. تبنرص وتبرعصَ. تحنحة وحتحتة. دحرجَ وجحدر. تمزمز وترمزح. حزرَق وحرزق. عفلَط وعلفَط. بشغ وبغش. حمد ومدح. وهكذا في ما بقي من الالفاظ وهي كثيرة

٤ السبب الرابع الإبدال وهو أوسع دائرة من القلب والترخيم وهو عبارة عن إبدال حرف او اكثر من كلمة ما بحرف او اكثر يقرب منهُ لفظاً. منها قولهم:

تلَع وطلَع بمعنى واحد. سخَّر وصَخَّر. ابتمرَّ وابتأرَّ وابذعرَّ. لحس ولمس ولعسَ. نمزَ ومزَ. مخفِد ومحتِد ومحقد. حطا وكظا وبطا. لزقَ ولسقَ ولصقَ. بنكٌ وبنجٌ ومنجٌ. بزقَ وبسقَ وبصقَ. مِخضَج ومِخضَب ومحضأ. طمشٌ وطبشٌ وطنشٌ. قتَمَ وقذمَ وغثَمَ وغتمَ. كَت وكند وكبط وقسط. نقصَ ونقزَ ونقشَ ونقسَ. حُسالة وحثالة وسحالة وحفالة. حُثرب وحُثمر وحِثلم وحِثلب وحُتفل. وخُثارة وحثارة الى غير ذلك مما يكاد لا يقع تحت الحصر

ومن اغرب الغرائب انَّ بعضاً من الالفاظ من كثرة ما حدث فيها الابدال صار فيا اكثر من مائة لغة. فمن ذلك قولهم بمعنى واحد:

الجَيتَر الجَيذَر الجيدريّ الجيدران الجَنـدر الجَنذَري الجمظار الجنظار الجَمنظَر الجَمبَر الجمبريّ البُهتر البُحتر القبتر القُباتر الحبتر الزنبَر القنتَر القنثَر الحنتر الحنثر الحِنثار الكمتر الكُماثِر الحنتر الحنثر الحنبر الحباتِر الحَبَيتَر الحَنبَل الحَندل الحنثل الحَنثَل الحُنتُب الحتأ الحنكل الحناكل الحناجل الحِنتَقر الحِترَقر الحِنفص الحِدر الحِسفل الحِلبد الحزبَل الحَوزَل الحَزَوكل الحبتل الحوثل الزبتَل الزبَل الحاجل الحابِل الحَبلَق الحَبكل الحَوكل الحبنّك الحُبابِك الحِثيل الرِدعل الرهدل القرتل الزنجيل القندل الحَبنجَر الحُباجر الحُفثل

الحُفائل الحَفَنْحل الحفلَّج الحَفَلَق الحفلكي الحفني الحبركي الحَبوكر الحَفَنْسأ – الجحدب الجَنَب الجَحَنَّب الجحانب الجَنعدَل الجَنبر الجَحنبرة الجنب الجَنحاب الجلعد الجَنْدُغ الجنيط العُنبط العنكب القُنبُع القنجور القُنافر القنفير القَفَندر الحَدْرَد الحَدَمَد الحُدبُق الحَدَوْلَق الحدرجان الحِفطأن الحفطأنة – الكَرتَم الكَرْدَم الكُردوم الكُلدوم الكُرادح الكُلكل الكُلاكل الكَرْتَم الكهبل الكَمَيثل المَيثل القَهْزَب القهمز القزمل الى غير ذلك . فتأمل . (ان جميع هذه الالفاظ بمعنى القصير الضعيف)

٥ ان الامر الباعث اكثر ما يكون الى اتساع اللغة العربية وغناها هو الالفاظ الاعجميَّة المشحونة بها العربية وهي كثيرة تكاد لا تعدّ . فان العرب بما انهم كانوا قبائل شتى كانوا يتعاطون مع جميع الاقوام المجاورة لهم . فان لخماً وجذاماً كانوا مجاورين لاهل مصر والقبط . وقضاعة وغسَّان واياد كانوا مختلطين مع الاراميين والعبرانيين . وتغلب واليمن كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان . وبكر للهند والحبشة . وعبد القيس وازد عمان كانوا بالبحرين مخالطين للهند والفرس . واهل اليمن كانوا مختلطين مع الهند والحبشة . وسكَّان صحاري الجزيرة والعراق كانوا مخالطين للكلدان والفرس وغيرهم لغيرهم (السيوطي في المزهر)

فأدخل اذاً العرب في لغتهم من لغات هذه الاقوام الفاظاً كثيرة لا تحصى (ومن اغرب الامور انَّهم ادخلوا حتى اداة النسبة الحبشيَّة والسريانيَّة مثل الكاف والياء والنون . واتخذوا بعض الاوزان السريانيَّة مثل فاعول وفَعلوت . قال في شفاء الغليل : « وهي (اي الكاف) ليست من حروف الزيادة ويقولون في هندي « هندكي » وفي تندي « تندكي » وتكلَّمت به العرب وهو منقول من لسان الحبش . والحبشة تزيد في كل منسوب كافاً وياء قاله ابو حيان » . امَّا نون النسبة السريانية فكثيرة الوجود في الالفاظ العربية من ذلك التحتاني والفوقاني والجسداني والجاني والتختخاني . وكذا وزنا فاعول وفعلوت فكثيرا الورود في العربية . من ذلك : التاسوعاء والعاشوراء والجاروف والجاروف والحابول والحاسوس والسبروت والحلبوب والرَّحموت والرهبوت . فلذلك نرى العربية مشوبة بالفاظ فارسية ويونانية ورومية ومصريَّة وحبشيَّة وهنديَّة وسريانية وعبرانية وغيرها . فالالفاظ السريانية المعرَّبة هي وحدها فقط تبلغ مئات من الكلمات . كما بيَّن ذلك فرنكل العالم الجرماني في كتاب الَّفهُ في الالفاظ التي اتخذها العرب من السريان . هذا وان الالفاظ العبرانية المعرَّبة ليست باقلّ منها . فانَّهُ ما عدا ان العرب كانوا مجاورين

لبني اسرائيل فاتخذوا منهم الفاظاً كثيرة لا بدَّ ايضاً من ان آل اسماعيل وبني مواب وبني عمون عند استعرابهم ادخلوا في العربية الفاظاً كثيرة من العبرانية

وكذلك استعار العرب من اللاتينية واليونانية كلمات كثيرة وهي اكثر مما يظنّ. فان كلمات كثيرة هي بالحقيقة يونانية او رومية قد فاتت الذين بحثوا عن باب الالفاظ الاعجمية الموجودة في اللغة العربية. واني كنت قد جمعتُ كثيراً منها غير اني لمّا علمتُ انَّ الاب انسطاس الكرملي اللغوي البارع قد اخذ بجمعها عدلتُ عمّا كنتُ نويتُ

وقل ذلك عن الالفاظ التي اتخذها العرب من اللغات المصريَّة والحبشيَّة والهنديَّة

لكن اللغة التي حازت قصب السبق في إعارتها اللغة العربية الفاظاً كثيرة هي الفارسية. لعمري ان العرب شحنوا لغتهم الجليلة بالفاظ يكاد لا يضبطها حصر مأخوذة من اللسان الفارسي مصحَّفة اقبح التصحيف. نعم انَّ عدد ما نسبهُ علماء العرب من الالفاظ الى الاصل الفارسي يبلغ مئات من الكلمات. لكن فات هولاء العلماء كلمات كثيرة مشهورة هي بالحقيقة فارسية الاصل. واني قد جمعتُ نحو ستمائة كلمة لم يصرّح علماء اللغة بفارسيتها

فاقول: ان في العربية من الالفاظ السريانية والعبرانية ما يبلغ عددهُ اقلّها يكون مئات من الكلمات. والالفاظ الفارسية المعرَّبة اكثر عدداً. وكذلك الالفاظ اليونانية واللاتينيَّة والمصريَّة والحبشيَّة والهنديَّة المعرَّبة ليست باقل منها. واذا اضفت اليها ما يكرّر من الالفاظ المرخَّمة والمقلوبة والمُبدلة يبلغ عدد الالفاظ العربية المعرَّبة والمكرَّرة الوفاً من الكلمات

هذا وان العرب اشتقوا من الالفاظ الاعجمية افعالاً واسماء كثيرة وجعلوا فيها القلب والابدال. فاشتقوا مثلاً

من «المنجنيق» جنقَ وجنَّق ومنجق. ومن «الكوز» كازَ يكوز وتكوَّز وأكتاز. وقالوا في «الفالوذ» فَلَذ وفَلَّذ وافتلَذ. وفي «المنداز» هَنْدَسَة وهُندوساً ومُهندساً وهُنْدزاً ومندازة وهندساً ومَنْدَسَ. وفي «الجَزف» جزف وجازَف واجترف وجزافاً وجزّافاً وجزوفاً ومجزفة. وفي «القَلَم» قَلَم قلَّم وقلامة. وفي «اليَشْب» يشْباً ويشْباً ويصباً ويصباً الى غير ذلك

امكان المعجزات

للاب لويس معلوف اليسوعيّ (راجع ص ٦٨٩)

مَّا لا مماحكة فيه ان المعجزات من حيثيَّتها التاريخيَّة لامر سهل التعهد بيِّن المُطَّلَع واقلّ ما يُقال فيها انهُ يتمكَّن المرء من تحقيق وقوعها على حدّ ما يتمكَّن من تحقيق ايّ حادث تاريخي كان. ان حدثت معجزةٌ امامك او كانت ممَّا حدث في القرون السالفة فهي من الامور المحسوسة تنظرها العين وتسمعها الاذن او تقام على تصديق وقوعها البيّنات التاريخيَّة

وعليهِ فالمعجزات تقع تحت سيطرة الانتقاد والتحقيق والتمحيص التاريخي ومتى اجاد المرء في بحثهِ عن حقيقة وقوعها بواسطة المبادئ الانتقادية فلا مانع يمنعهُ من التوصُّل الى إدراك اليقين مِن هذه الجهة. فان كان المعجز مثلًا اقامةَ ميت من قبرهِ فايُّ عائق يعيق عن تحقيق تعاقُب الحياة والموت فيهِ ثمَّ عَود الحياة بعد الموت وادراك كلّ حالةٍ من تلك الحالات الثلاث بتفاصيلها وظواهرها وخواصها ممَّا لا يترك للريب مجالًا؟

وهذا الامر البسيط الذي لا يسوّل لك صائب عقلك ان تردّهُ هو الذي توقف عندهُ بعض زعمة العلم ولكنهم ضلُّوا الجادَّة القويمة ضلالًا فاحشًا حيث لا يدركون

قالوا ان كان هناك من يخبرك بحدث يخالف النواميس الطبيعيَّة ويخرق ما عهدناه في عالم الكائنات فاعرض عنهُ ولا تتكلَّف مؤونة البحث. انهُ لا ريب مخرقة او شعوذة او ضربٌ من الاختلال في الشعور ومسٌّ في العقل

لو اتى اصدق واعدل شاهد وقال لنا انهُ رأى صخرًا انفصل عن الحضيض وحلّق في الجو مرتفعًا فكل من كان صحيح العقل يعدّ شهادتهُ تلك قولًا فارغًا لا يُلتفت اليه (١

فكيف بمن جاء يخبرهم بايقاف الشمس في مجراها واقامة الميت من ترابهِ ؟

ولِمَ ؟

لزعمهم ان المعجزات والخوارق امر لم يقع ولن يقع. وذلك الزعم لهم فيهِ تعليلات واهنة نأتي عليها ان شاء المولى في ما يلي

(١ Rabier : *Logique*, ch. 18

وليسمح لي الآن حضرة القراء الكرام ان انظر معهم قليلًا في شأن امكانية المعجزات من حيث هي

المعجزات من جهة الاعجاز وخرق القوى الطبيعيَّة على انواع:

منها ما يفوق مستطاع ايّ مخلوق كان كاعادة الميت الى الحياة. فهذا وما كان من طورهِ لا يستحيل فعلهُ على القدرة الالهيَّة غير المحدودة. اذ ان اقامة الميت مثلًا شيء ممكن ليس فيه ما يخلّ بصفات الباري تعالى: ممكن لان عود النفس الى جسد كانت فيه وارتباطها بهِ من جديد ليس في ذاتهِ باقلّ امكانيَّة من وجودها فيه واتحادها بهِ عند تألف المركّب الانساني في الولادة. واما من جهة الكمالات الربانيَّة فان الله اذا اقام ميتاً واعادهُ الى الوجود فلا يقل تلألأ رحمتهِ وجودتهِ وحكمهِ عما كانت تتلألأ في حفظ الانسان في قيد الحياة

ومنها ما يكون من مستطاع القوى الطبيعيَّة ولكن ليس الّا في ظروف معلومة وبشروط مقرَّرة: لا يعجز الطبيب عن ابراء العضو المقروح واعادة انسجتهِ وشرايينهِ وعروقهِ الى انتظامها الطبيعي كمن ذي قبل ولكن بشرط ان يتخذ الاحتياطات اللازمة ويستخدم الوسائل الكافية وخصوصاً بشرط ان يمضي على تطبيبهِ الزمن الكافي لتتمكَّن القوى الطبيعية من إعمال عملها. والمعجزة في هذا تكون بابراء القروح دون تلك الوسائل او تكون على فور بكلمة وبلمحة عين

وهنا ايضاً لا نجد مانعاً يمنع الله من فعل المعجزات من هذا النوع لانَّ ما يقوى عليهِ الفاعل الثاني اي المخلوق المتناهي العمل المحصور التأثير في ظروف وشروط معلومة فالباري الكلي القدرة يقوى على فعلهِ كيف ومتى شاء. انهُ تعالى لا شيء يحدُّ عملهُ ولا يشترط عليهِ شرط فيما اراد احداثهُ. يقول كن فيكون ما شاء كيف ومتى واينما شاء.

ثمَّ من المعجزات ما يكون ضد وعكس ما تقتضيهِ طبيعة الشيء. الذي تحصل فيهِ المعجزة كأن يقوم الصخر في الفضاء دون ان يعمدهُ عامد او ان يُلقى رجل في النار ولا يحصل لهُ منها اذى

هذا وما ضاهاهُ لا يستحيل على الباري اجراؤهُ في الورى. لان تلك المفاعيل الطبيعيَّة: كاحراق النار وهبوط الاثقل الى ما تحت ليست مما يستحيل على الله ابطاله وابدالهُ بتأثير يخالفها مخالفة كليَّة. والدليل العقليّ ان بين جوهر كل شيء وفعلهِ او تأثيرهِ

امتياز ثابت مقرر: بين جوهر النار واحراقها. بين جوهر وذات العين ونظرها الخ. وهذا الامتيــاز هو في القوى العقليَّة والاراديَّة اظهر ومن لا يرى الفرق بين العقل اي قوة الادراك وفعل الادراك ذاته. وقت المنام مثلاً بنا جوهر العقل اي قوة الادراك ولكن لسنا ندرك عندئذٍ امراً. اذاً يمكن وجود جوهر الشيء. كالنار مكفوفاً عن ابراز عملهِ كالاحراق. ولذلك لا يرى العقــل مانعاً من ان يتَّخذ الله لداعٍ صوابيّ جوهراً من الجواهر ويكفُّهُ عن العمل والتأثير في حالة من الاحوال

زد ان كل الاشياء قائمة بأيد الباري وحفظهِ اي انَّهُ تعالى اذا انسحب عن كائن من الكائنات تلف هذا الكائن جوهراً وعملاً وعاد الى عدمهِ. فمن يا ترى يدلُّنا على ان الله لا يقدر ان يهمل الشيء من حيث عملهِ فقط فيصبح جوهراً دون عمــل. وكذا يصحُّ وجود نار لا تحرق. او من يدلنــا على ان الله متى كف جوهر الشيء عن عملهِ لا يمكنهُ ان يعيضهُ بعمل آخر يخالف عملهُ الطبيعي او يعاكسهُ ؟

اذن المعجزات في كل نوعيَّاتها ليس فيها ما يعسر على الله احداثهُ

تلك ادلَّة عقليَّة ثابتة لم يوهنها اعتراضُ معترض. اتجه قصدي بها الى دكّ الاقاويل السفسطيَّة التي يحاولون الاحتجاج بها في امكانية المعجزات. ولقد كان لنا غنى عن تلك الادلَّة ووعورة مسلكها باعتبار ما يراهُ مرأى البصر كل عقل سليم لم تغوهِ الضلالة

أيَقتضي فعل المعجزات قوَّة فوق تلك القوَّة القديرة التي اقام الباري عليها شهودًا في بدع ما بدعهُ ؟

مَن دحا الثوابت والسيارات في عالم الفلك تسير سيرها مُلتحفة بالبهاء وغائصة في بحار انوارها البديعة تدور على دوائرها دوراناً محكماً فلا تعرج عنــهُ عرض الاصبع وتلتهم المسافات التهاماً دون ان تبطئ عن مواعيدها او تتجاوزها لمحة بصر. أذاك القدير يعجز عن ايقاف الشمس يوماً في سيرها او يعسر عليه نقــل شخص من الارض الى طبقات الجوّ او من بلاد الى بلاد باقرب من وميض البرق ؟

أمن جعل بطون الارض تغلي مراجلها فتنفجر عنهــا البراكين وتتصاعد انفاسها النيرانية حتى السماء. أمن ملأ البحار الشاسعة واجرى الانهار تتدفق من اعالي الجبال على الآكام والوديان والسهول فتُكسى الارضُ نضارةً وجمالاً ثم تسرع الى مقرّهــا وترتاح من تقلّبها بعض الزمن ثمَّ تهبُّ من ذلك السُّبات فتنتشر في الفضاء سحاباً ثم

تنسكب على الرياض ندًى منعشًا او تنهطل على الروابي مدرارًا فتسري في شرايين المضاب فتنبعث عيونًا مُروِيَةً وجداول مخصبة تحيي الارض بعد مواتها. أذلك الجميل الصنع يعجز عن قليل ما تقتضيهِ المعجزات من تكيُّفات المادَّة او تحوُّلها من حالة الى حالة. أيعجز مثلًا عن جعل الماء كاديم الارض او امتن يحمل من مشى عليهِ او يضعف عن ردّ الماء الزلال خمرًا رحيقًا

أمن جبل العين وصاغ الاذن أمن ركّب القلب وفعل فيهِ من العجائب ما فعل أمن يخلق كل يوم الالوف والأُلوف من النفوس الناطقة. أذلك العليم البصير الرحيم يعجز عن ان يعيد لاعمى بصرهُ او ان يردَّ نفسًا الى جسد هجرتهُ؟

فاين الله انَّ الذي انكر هذا قد اتى ببهتان لا يقوم لهُ امام نظر العقل قائم

لكنهم يقولون: ان الله لا شكَّ قادر على مثل ذلك ولو كان يعنيهِ امرنا لما عسر عليهِ ان يصنع الالوف من العجائب والمعجزات ولكن انهُ اسمى واعظم من ان يهتمّ بنا فيتنازل الى مريض يشفيهِ او ميت يُحييهِ

لعمرك ان من قال هذا القول لقد جهل من صفات ربّهِ ما دلَّ عليهِ العقل دلالة جليَّة ونادت بهِ كل عاطفة من عواطف القلوب وكل نسمة من نسمات الارواح

كيف يستدلّ العقل على ان الله لا يقدر ان يهتمّ لمن برأهُ ومن اين الحجَّة القاضية على الله ان يهمل الكائنات ويدحرها الى خلواتها مغفلةً منسيَّة. أعقلك يرى ان ليس للمنشئ ان يُعنى بما انشأهُ ولا المالك بمملوكهِ ولا المتبوع بتبعهِ ولا الوالد بولدهِ. ام تقول ان الاهتمام للخليقة واحوالها اقرب الى النقص ممَّا هو الى الكمال فلا يصح نسبتهُ لرب الكمال. ولكن كيف يكون في هذا نقص ولم يعتدَّ الله نقصًا بكمالهِ ان يُخرج البريَّة من عدمها ويسنّ لكل من مبتدعاتهِ سُنَنها ويحدد لها حدودها ويخلق لها كل ما يكفل لها دوام الوجود وحسن الثبات. لم يمنعهُ كمالهُ عن هذا فلِمَ يا ترى عن مداومة السهر على ما اراد بهِ دوامًا وسيرًا على خطط قويمة

وان وجَّهت لحظك الى الامم في كلّ آنٍ ومكان واصغيت سمعًا الى ما تبديهِ القلوب من الحركات والعواطف وحاولت ادراك شيءٍ من طوياتها واسرارها الخفيَّة لألفيتها صوتًا واحدًا يعلن أن لله عناية بمخلوقهِ وقلبًا ساهرًا على عبادهِ وعين تراقب كلّ ما يجري في الكون من اصاغرهِ الى اكابرهِ

يرى حركات النمل في ظُلَم الدجى ولا يخفى اعلانٌ عليهِ واسرارُ

وما اشهى قول البرعي اذ ذكر ان الله لاقرب الينا من الصحب والجار واثبت على موالاتنا من الصديق الحميم :

مُقيلَ العاثرين أقِل عثاري وخذ لي من بني زمني بثاري

. . . .

وان يكُ عقَّني صحبي وجاري فجودك بالذي ارجو جاري

. . . .

سخرتَ الشمسَ خلف البدر تجري بها الافلاك من غادٍ وسارِ
وتمسك في الهواء الطير بسطًا وقبضًا في رواحٍ وابتكارِ
وتكفل كلَّ وحشٍ في البراري وترزق كلَّ حوتٍ في البحارِ
الهي عافني واصحَّ جسمي وصل واقبل برحمتك اعتذاري
وطهِّر قالبي وتنشَّ قلبي بانوار السكينة والوقارِ
وان كرَّرتُ مسئلتي فكلفني الى كرمٍ يفيض بلا انصارِ

ذلك ما نشعر به في مخادع القلب

اذًا الله يُعنى بنا وبنظام كونه ان ماديًا وان ادبيًا وان دينيًا وان اقتضى حسن ذالك النظام ان يبدي الله غريبًا امرًا ومعجزًا فما هو بقاصر عن ذلك

كذا لا ركن ولا اساس لما قالوا من انَّ الخوارق والمعجزات تشير الى تغيُّر رأي وتقلُّب خاطر في الباري او تدلّ على عدم احكامه الخلق من بادئ بدئهِ

فانَّ الله متى اراد فعلًا معجزًا لا يقصد إلغاء شيء مما رتب ولا يغيّر النواميس التي امر البرايا ان تجري عليها كما مرَّ بك . اراد جلَّ جلالهُ منذ خلق البرايا ان تكون لها سنن ثابتة وقضى ايضًا بان يجري في ازمنة سبق اليها علمهُ بعض حوادث تفوق وتخالف تلك السنن ذاتها . او هل تمنع السنن المسنونة والشرائع المشترعة ان يحيد عنها صاحب الامر عند ما يحلو لهُ او في احوال يعينها المشترع ذاتهُ لاسباب صوابيَّة تعود على صلاح الدولة بخير اوسع واعمّ

بقي ان الله قادر على فعل المعجزات ولا مانع يمنعهُ عن الاتيان بها متى شاء . على انهُ تعالى لم يكن ليفعل شيئًا من هذا الّا لغايات حميدة تليق بجلالهِ كما مرَّ وان لم نذكر تلك الغايات التي من شأنها ان تحمل المولى على صنع الخوارق او السماح بحدوثها فما نكون وفينا البرهان حقَّه . وتلك الغايات اقرب للادراك من ان تقتضي بيانًا طويلًا

فهيَ تكون اماً اغاثة الملهوف او اجابة المطلوب او اظهار الحق او ردع الظالم عن ظلمهِ او . . . وفي كل ذلك احياء القلوب وانعاش الهمم واشراق نور الهدى على قمم الالباب فينجم عن ذلك تحسين الاخلاق واخلاص التعبُّد وسعادة الحال في الدارين. فتكون المعجزات نعماً عظمى يرسلها المولى الجواد من فيض كرمهِ على العالمين فتصبح لهم من اقوى ما ساعدهم على الانقياد لربهم والسير على خطط صلاح وتقىً توصلهم الى هناء الخلد. وهي الغاية القصوى التي قصدها اذ برأ الكون ونظمهُ

ذلك اذا صرفنا النظر عن امر الوحي وما يترتب عليهِ. امَّا اذا افترضنا نزول وحي على بعض عباد الله — وانت لا تجهل انَّ معظم الاديان التي تتضارب وتتعاند على وجه البسيطة قد ادَّعت هبوط الوحي على زعمائها — فقد وجب ان يكون الله في حكمتهِ القدوسة قد اقام لنا ادلّة وعلامات نستدلُّ بها على حدوث الوحي ان كان ونستبين بها صِدقَ مَن صدق وبهتان مَن لفَّقوا مذاهبهم تلفيقاً

وتلك العلامات لا يغرب عن عقلك السليم انها ينبغي ان تكون جليَّة البرهان قريبة الادراك قاطعة الحجّة تُقنع العالم ولا يعسر على الجاهل منالها والاستدلال بها فما عساها ان تكون ؟

هناك لا شكَّ براهين وادلّة وعلامات مقنعة اقناعاً يقينياً ولكن منها ما كان دقيق الحجّة خفيَّ البيان الّا على بعض ارباب العقول الثاقبة والالباب الذكية. ومنها ما لو أُفرد عن غيرهِ لما قضى على كلّ شك وتمويه. ومنها ما لا يحتمل ان يقوم برهاناً الّا بعد السنين الطوال. ومنها ما يستحيل على السواد الاعظم فهمهُ. ولو اتسع بنا نطاق القول لاتينا على هذه بشيءٍ من الايضاح على انهُ من المسلَّم بهِ والذي لا ينكرهُ الّا من عاند الحقّ معاندة لن الدليل الاعلى والاجلى والآمن والاقرب الى الفهم بالنظر الى عموم الناس متى اردنا الاستدلال على ان الله قد اوحى ديناً لهو المعجزات: متى ثبت ان الله فعل معجزاً او اجراهُ على يد احد اوليائهِ تصديقاً لوحي وتقريراً لعقيدة فذلك الوحي وتلك العقيدة من حيث ورد المعجز مثبتاً لها لهو الوحي الحقّ والعقيدة السليمة القويمة

وانني لعمرك يخال لي من الحقائق التي لا مردّ عليها انَّهُ لو لم ترد لتأييد صدق الوحي معجزاتٌ راهنة مثبتة اثباتاً تاريخياً تقيم عليهِ الدليل لما امكن اقناع السواد الاعظم من عباد الله بوجوب الانحياز لذلك الدين الموحى بهِ والتمذهب لهُ والقرار

على بيّنة قرار من استنار بانوار الهدى والحق لا من شرب الاوهام عن جهل وغواية

وذلك اذًا ما قصده او يمكن ان يقصده المولى بصنعهِ المعجزات: ان يقيم حجة دامغة تقنع كل العقول بنزول وحيهِ. فان كان تكرَّم علينا بوحي فقد اقام المعجزات بيّنةً عليهِ. فوالحالة هذه نكاد ان لا نكون في غنى عنها

اذن ليست المعجزات مما يليق فقط بالباري ان يفعلهُ بل هي ايضاً مما يقتضيهِ جودهُ وحكمتهُ وصدقهُ ورحمتهُ بالعباد

اذن وجب القول — ولا ارى وجهاً لردّهِ — انَّ المعجزات ممكنة الحصول وانك سواء اعتبرت قدرة الله او نظرت الى حكمتهِ او فكرت في عنايتهِ الربَّانيَّة ورأفتهِ بالبشر فالمعجزات لا شيء فيها يخلّ بكمالات العلي بل كل ما فيها ينادي بحكمتهِ التي لا يحدها حدّ

فثبت اذن اقتدار الباري على احداث المعجزات متى شاء وذلك مما يقرُّ بهِ كل عقل سليم لم تغوهِ الغواية ويسهل كما ترى استخراجهُ من الاصول العقليَّة الراهنة. والحق يقال انني لا ارى كيف يتيسَّر لمن قال بوجود اله قدير حكيم ان ينكر امكانيَّة المعجزات وقد تفقدتُ تآليفهم فما ألفيتهم اتوا بحجَّة ضد ذلك تحتها طائل. وهذا هو المبدأ الاصلي والأهمّ في كل هذا الباب

ولكن كم عهدتهم يقولون ويشحنون الكتب بما خلاصتهُ: اننا وان سلَّمنا بامكانية المعجزات من قبل الله فمن لنا بان ندرك ما صحَّ منها وما فسد. كم هناك من الخزعبلات والمخرقات. كم من الخوارق الموهومة التي لم تخرق الَّا فهم جهل القوم ومن خفت عليهم اسرار الطبيعة وقواها الغريبة. كم اتى عصرنا بالافعال العجيبة التي لو رآها السلف لأ لفوها لا شكَّ غرائب ومعجزات. بل ها غرائب التنويم. ها غرائب التلقين. ها الامور التي تجري على ايدي من خالطوا الارواح. فمن يمكنهُ التوصُّل الى ادراك المعجزات الحقَّة الصادرة عن فعل رباني تصديقاً للعقيدة وتمييزها مما يضاهيها وتلك الحوادث. اذن فالمعجزات ان وقعت لا يمكن ادراكها. فهي تكون عبثاً. والله لا يأتي امرًا عبثاً

اجل هناك احوال صعبة المراس تقتضي تدقيقاً وانعام نظر. وعليها كلامنا في مقالة تلي ان شاء الله

الصَّفراغونُ والبُلَحُ (١

لحضرة الاب العالم اللغويّ انستاس الكرملي البغدادي

كنتُ قد ذكرتُ في المشرق(١ : ٤٤١) ان العرب سمَّوا الطروغلوذيتس صَفراغونًا بالقاء او صَغراغونًا بالغين وقلت ليس لهاتين اللفظتين وجود في لغةٍ من اللغات الافرنجيَّة. وبعد ذلك سألت حضرة الاب لويس شيخو ان يذكر لي كيف الدكتور لكلار Leclerc نقل هذه اللفظة الى اللغة الافرنجية في كتاب المفردات لابن البيطار فكتب لي انَّهُ سمَّاهُ mortacilla او ossifraga. ولمَّا رأيتُ بين هذين الطائرَين بونًا عظيمًا استغربتُ إعجام الدكتور ولمَّا امعنتُ فيه النظر تحققت انَّهُ سمَّاهُ mortacilla محافظةً على ما ارشدهُ الوصف الى ذلك وسمَّاهُ ossifraga محافظةً على مقاربة اللفظ بين الحرفين. وهذا الامر دفعني الى البحث وراء الحقيقة وتدقيق النظر وجعلتُ اتصفَّح الكتب العربية لعلي اجد ضالَّتي فرجعتُ بخُفَّي حُنين. غير اني قرأتُ في البرهان القاطع ما شفى بعض العلَّة وروى شيئًا من الغُلَّة قال ما معرَّبهُ: « صَغراغون على وزن أفلاطون بالغين المعجمة لفظ يوناني وهو اسم طائر بجثة العصفور اسمهُ بالعربية « عصفور الشوك » ويُسمَّى في غير هذه الديار: « طائر الشوك. وبُلبل الشوك » ويُسمى في هذه البلاد: « بوقليچه بُلبل » لسبب تغريدهِ ويُدعى في اماكن اخرى باسم عصفور الشوك والطائر المغرّد وبعضهم سمَّوا صَغراغونًا الطائر الذي هو من جنس الجوارح المعروف باسم « چاقر طُغان » اي الصقر » اه. ومن هذا الكلام يتبيَّن ان الكتَّاب قد ذهبوا في هــذا الاسم مذاهب شتى مرجعها الى انهــا عصفور الشوك المعروف باللغة الافرنجية بالطرغلوذس الاوربي troglodytes europeus وبالفرنسية troglodyte ordinaire وبالفرنسية العاميّة fourre-buisson اي عصفور الشوك وbérichot وباليونانية σπαργάνιον اي « ذو الشَّرَيط » وذلك لوجود خُطط على ظهره وذنبهِ كانها أشارير او قِدد

اما ossifraga فانَّهُ وان كان في لفظهِ بعض الشبه للصفراغون فليس بهِ البتَّة وقد سمَّاهُ العرب باسماء شتى وليس في عدادها هذا الحرف. والإتيان بذكرهِ وباوصافهِ وباسمائهِ لا يخلو من فائدة لان العرب قد ذكروا عنهُ اشياء اخرجتهُ الى حد الخرافة

(١ Le Troglodyte ordinaire et l'Orfraie

واوّل هذه الاسماء البُلَحُ وهو عندي مشتقّ من البَحّ او البحح وهو خشونة في الصوت لان في صوته شيئاً كثيرًا من ذلك وكل من يسمعهُ لا يتمالك من ان يقول: ان هذا الطائر مبحوح. وعليهِ كلام الشاعر الفرنسي ڤيكتور هوكُو :

Tu chantes faux, à rendre envieuse une orfraie

اي أنك تغني غناء معيبًا دونهُ صوتُ البُلَح: هذا وقد اقحمت العرب اللام بين الباء والحاء للفرق بين البَحَح والبلح. ثمَّ اننا قد قُلنا غير مرَّةٍ ان كثيرًا ما يقحمون احرُف الذلاقة في الكلم تمييزًا بين كلمٍ وكلمٍ تمييزًا ظاهرًا. وبالاخصّ في المضاعف وان كان يوجد في غيرهِ. والشواهد على ذلك لا تُحصى نذكر منها ثلاثة للتمثيل فيقال: مسَّ الشيء. ولمسهُ بزيادة اللام في الاوَّل. والسَّطح والسَّلْطح بزيادتها في الوسط. وقصَّ وقصّل في الآخر. وقد وصف البُلَح صاحب الاوقيانوس فقال ما معرَّبهُ:

« البُلَح وزان صُرَد طائر من جنس النسر (الكُرْكس) وهو القديم منهُ اذا هرم. وقيل هو طائر اعظم منهُ محترق الريش خِلقةً واذا وقعت ريشةٌ منهُ على ريش طائر احرقتهُ. ويُجمع على بِلْحان وزان صِرْدان واسمهُ بالفارسية « هُماي » اي مَيمون او مبارك. ومن ذلك وَصفُهُ بهـذا القول المأثور: « مرَّ البلح فسحني تمثالهُ اي وقع عليَّ ظلُّهُ. وعليهِ فهو هذا الطائر المعروف « بُهما » والفقير المترجم قد رأيتُ في حلب جثتهُ عند واحدٍ من تُجّار الهند. وكان رأسهُ تامًّا وكذلك سائر اعضائهِ وجناحيهِ وريشهِ. وكان لونهُ قريبًا من الزرقة وكانت جثتهُ بكبر جثّة البازي (الطُغان) لكنهُ اطول منهُ بقليل وكان في ذنبهِ جُمّة (چيغه) ريش منقَّش. ونظرًا الى هذا الريش اشتراهُ احد الاعيان بذهب وافر وأهداهُ الى جلالة المرحوم السلطان سليم. ولم يكن فيهِ ابدًا اثر احتراق في ريشهِ. وشاهدتُ بجانب جثته طائفة من النسل وكان رأسهُ بكبر رأس القط المتوسّط الحجم وكان لونهُ (اي لون رأسهِ) اسود لمّاعًا. وعيناهُ وفمهُ بكبر عيني وفم القط بذاتهِ. وكان لهُ قرنان بقدر الاصبع الوسطى » اه تعريبًا

وقال التاج: « البُلَح كصُرد النسر القديم اذا هرم. وفي التهـذيب هو طائر اكبر من الرَخَم او هو طائر اعظم منهُ اي من النسر ابغث اللون محترق الريش. يُقال: انَّهُ لا تقع ريشة منهُ وسط ريش طائر الَّا احرقتهُ. وفي الاساس: وهو اقدر اللواحم (قلت هذه اللفظة باطلاق المعنى من المستدركات فانَّهُ جاء في معاجمهم بازٍ لاحمٌ اي يأكل

اللحم ويشتهيه) على كسر العظام وبَلعها. وتقول: « مرَّ البُلَح فسحني قائلهُ » (كذا في الاصل المطبوع. والمشهور تمثالهُ وهو الصحيح كما اورده عاصم افندي) اي وقع عليَّ ظلّهُ . جمعهُ بِلحان بالكسر كصِردان جمع صُرَد وبُلحان ايضاً بالضم . زاده الازهري » اه بحرفهِ

وقال فَرْهَنك الشعوريُّ في مادّة هُماي أو هما: « هو الطائر المعروف وهو مخصوص بجزائر الصين وغذاؤهُ العظام » اه تعريب حرفهِ

قُلنا الان: امَّا ما رآهُ صاحب الاوقيانوس في حلب وظنّهُ البلح فلا يخلو من انتقاد لان روية طائر غريب ليس دليلًا على أنّهُ هو الطائر الغريب المطلوب لان ما وصفهُ هو وصف الطائر المعروف عند علماء الافرنج باسم calao rhinoéeros وامَّا البُلَح فهو طائر آخر وهو المعروف عند الافرنج باسماء عديدة منها orfraie (i.e.: ossifraga), huard, pygargue, aigle pêcheur, aigle de mer, aigle des rivages ويُعرَف باليونانيَّة باسم φήνη المشتقَّة من φαίνω ومعناها: لمع وأضاء وانار وبَرَقَ وأشرق. وكان اليونان يعتقدون نفس اعتقاد العرب عن هذا الطائر ومنهُ اشتقاق اسمهِ عندهم. لا بل وقد اخذ العرب هذا الاعتقاد عن اليونان عند تعريبهم كتبهم. ويسمَّى باللاتينيَّة: ossifraga ومعناهُ كاسر العظام. وهو اسم آخر سمَّاهُ بهِ العرب كما ستراه. والعرب كالافرنج لم يدقّقوا في دلالة هذا اللفظ. فان هؤلاء كثيرًا ما توهَّموا فيهِ طائرًا آخر اي gypaète barbu, griffon, vautour des agneaux *ou* læmmergeyer ومعناهُ: الأنوق المعروف ايضًا باسم النسر البازي او نسر الخرفان مع انهما طائران متميّز الواحد عن الآخر تميّزًا بيّنًا

ومن اسماء البُلَح البُلت. قال صاحب القاموس: « البُلَت كصُرد طائر محترق الريش ان وقعت ريشة منهُ في الطير احرقتهُ » اه. قُلنا: امَّا سبب تسميتهِ بالبُلَت فنظن أنّهُ حاصل من الابدال والوقف. فانهم قالوا اولًا في البلح: البُلَه بهاء في الآخر وهي لغة لبعض العرب مشهورة اي انهم يبدلون الحاء هاء فيقولون مثلًا في الجَلَح الجَلَه (وهو انحسار الشعر عن مقدم الرأس) وفي حَبشَ هَبشَ (اي جمع) وفي البُختُر البهتُر (اي القصير) (كل ذلك عن المزهر ١ : ٢٢٤) ثم وقفوا على الهاء بالتاء المبسوطة فصارت البُلَت. وعليهِ قول الشاعر:

كادت نفوس القوم عند النَلْصَتْ . وكادت الحرَّة ان تُدعى أَمَتْ

وعلى هذه اللغة بها كُتب في« المصحف ان شجرت الزقوم وامرات نوح »... (عن هامش حاشية الصبان ٤: ١٥٢ بحرفهِ). — ومن اسماء « البلح » الهماي كما ذكرهُ صاحب الاوقيانوس وكذلك الهُما بالقصر كما ذكرهُ صاحب شفاء الغليل« وهُماء » بالمدّ كما ذكرهُ صاحب التاج قال في مادة « ه م ي »: « وهُماء بالضم والمدّ. وقد يُكتب بالياء في آخره (اي هُماي) هو العقاب او طائر آخر من وقع ظلّهُ عليهِ صار ملكًا وتتخذ الملوك من ريشهِ في تيجانهم لعزّتهم وكأنها فارسية » اه. قلنا: والكلمة فارسية محققة كما صرَّح بها صاحب الاوقيانوس ومؤلف البرهان القاطع ومعناها كما ذكرنا: الميمون والمبارك والمسعود والمحظوظ. وايضًا الملكي او السلطاني وسُمّي بذلك لاتخاذ ريشهِ في تيجانهم او تفاؤلًا لمن وقع ظلّهُ عليهِ

ومن اسمائهِ ايضًا هُمايون كما صرَّح بهِ صاحب شفاء الغليل. ونقلهُ عنهُ صاحب اقرب الموارد مع بعض تصرُّفٍ أَخرجهُ الى الوهم فقال: « هُمايون. لفظة فارسية في الاصل اسم طائر من وقع عليهِ او أَظلَّهُ وصل الى أَعلى المراتب ولذا أُطلق على العزيز والسلطان ». ثم زاد: « وقول الاتراك باب هُمايون. اي باب السلطان ». قلنا وان كان هذا التأويل من باب التخريج فمع ذلك يُرى فيهِ بعض التكلُّف: لان معنى باب هُمايون: بابٌ ملكي او سلطانيّ. لان همايون صفة لا موصوف بالفارسية امَّا نقلهُ بالعربية الى هـذا الطائر فهو من باب غلبة الاسمية على الوصفية كأَسود للحيَّة واجدل للصقر وادهم للقيد ونحوها. اما الخفاجي فقد قال: « هُمايون وهُما (بالقصر وهي لغة في المدّ كما ذكرها صاحب التاج واغفلها صاحب اقرب الموارد) فارسي في الاصل اسم طائر من وقع عليهِ أَو أَظلَّهُ وصل الى أَعلى المراتب. ولذا أُطلق على العزيز والسلطان. وفي بعض الرسائل: قيل ان الله تعالى خلق طائرًا اسمهُ هُمايون من وقع عليهِ ظلّهُ فاز بدولة وهو طائر ميمون. وهذا ممَّا لا يُعرَف اصلهُ (كذا. ولقد اصاب في قولهِ بعض الاصابة لانَّ وصفهُ حُفَّ بخرافات حتى لم يبقَ فيهِ شيء من الحقيقة) ولم يُرَ ظلّهُ. وما في عنايتك. فظلُّ حمايتك. وارف الظلال. سابغ اذيال الإقبال » اه

اما زعمهم ان من وقع عليهِ ظلّهُ رقي الى ذروة المعالي فهو امَّا لنَدرة اختلاف هذا الطائر الى البرّ وقلَّة تردُّدهِ الى البلاد الآهلة بالسكّان وكثرة اعتكافهِ في البحر فيكون

وقوع ظلّهِ من النوادر المبشِّرة بأمر غريب او غير مألوف من مثـل الاقبال وتحسُّن الأحوال. وامّاً لانَّ معنى اللفظة: « المبارك او الملكيّ » فتفاءلوا بهِ وقالوا: ان من يحلّ عليهِ اسم هذا الطائر الملكي لا بُدَّ من ان يبلغ ذروة المعالي إن لم يرقَ الى الملوكانيـة.
وامّاً زعمهم انهُ محترق الريش وان الطائر الذي يقع عليهِ من ريشهِ شيء يحترق فهو لانَّ لونَ ريشهِ لونُ الشيء المحـترق فاستنتجوا ان من كان لونهُ لون المُحرَق فانَّهُ لم يكن كذلك الّا لأنّهُ قد أُحرق ثم بالغوا في الوهم او الايهام فتولّد في فكرهم أنَّهُ مُحرَق الريش ومُحرِّقهُ. او ان العرب نقلوا هـذا الوهم عن اليونان كما اسلفنا ذكر ذلك في صدر هذه النبذة. وهو الاصح وان كانت سائر الآراء محتملة

ومن اسمائهِ الأبغث وهو من باب اقامة الصفة مقام الموصوف. والابغث هو الأغبر او ما كان لونهُ لون الرماد المحرق brun sale, cendré والابغث غير البغاث الذي هو دون الرخم ويُشبهُ والبغاث بهذا المعنى مشهود الى يومنا هذا عند أعراب البـادية في نواحي جبل حمرين في ولاية بغداد وهو بالفرنسية vautour arrian وبلسان العلم Vultur cinereus

. ومن اسمائهِ: كاسر العظام وكذلك معنى اسمهِ الثـاني عند الفرس اي أُستُخوان وعند اللاتين اي ossifraga وعند اليونان اي οστοχόπος' وانّما دُعي بهذا الاسم لانهُ من بعد ان يأكل لحم الحيوانات يُحلّق بالعظام في الجوّ ثمَّ يرمي بها على الصخر فتتكسَّر فينتقيهـا (اي يستخرج مخَّها) Apud dom Calmet.- Commentaires sur l'Ecriture Ste.- Lévit. XI, 13. - Traduct. Franc.

ومن اسمائهِ « المكلّفة » على ما ذكرهُ الدميري اذ قال في ترجمة العُقاب: « الفرخ الذي تُلقيهِ (العقاب) يعطف عليهِ طائر آخر يُسمَّى كاسر العظام ويُسمى المكلّفة فيربيـهِ ومن عادة هذا الطائر انهُ يزقّ كل فرخ ضائع » اه. قلتُ: ومنهُ اشتقاق اسمهِ بالمكلّفة ومعناهُ العقاب المكلّفة. وهـذه اللفظة من المستدركات على اصحاب المعاجم وكذلك كاسر العظام

ومن اسمائهِ ايضاً الأغثر. ونقول عن معنى هذا اللفظ وتسمية الطائر بهِ ما قلناهُ عن الأبغث

وختاماً لذلك نستنتج من هـذه المقالة ان العرب كثيراً ما يُسمّون الحيوان او

الطائر الواحد باسماء عديدة كما هو مشهور عنهم وذلك امَّا لزيادة معنى للمدلول عنهُ باللفظ الجديد وامَّا لاغناء اللغة بالفاظٍ متعدّدة لأغراض يطول ذكرها هنا

(فائدة) اتمامًا للفائدة نلحق الفوائد المذكورة بكلام نعرّبهُ عن بعض الافرنج المحدثين في مادة orfraie قال: ويسميهِ العامَّة عُقاب البحر هو ضرب من العقاب يمتاز بِنُقْثَة ريشهِ وبذنبٍ يكون بادئ بدء ضاربًا الى السواد مع نُكَت بيضاء ثم يبيضُّ مع العُمر وقد ميَّز الناس مدة زمانٍ مديد كاسر العظام عن البُلَح او العقاب المركيَّة. اما اليوم فقد تحقَّق انهُ نفس هذا الطائر. ويقيَّد باسم كاسر العظام طالما يكون في ريش سنَتيهِ الاوليَين اه. وقال في البُلَح ما معرّبهُ: البُلَحُ pygargue وتُسمّيهِ العامة بالعقاب الابيض الذنب وهذه التسمية محصّل معنى اللفظة اليونانية πύγαργος ضربٌ من العقاب من طائفة العقبان المركيَّة. ويُسمَّى في صغرهِ كاسر العظام واذا بلغ أشدَّهُ يتغيَّر لون ريشهِ فيُسمَّى: «الابيض الذنب» ويكون حينئذٍ لون ريشهِ أبغث بدون نكتة اخرى. ولون رأسهِ واعلى عُنقهِ أغثر بيّن الغُثرة ولون الذنب إبيض يقق ويكاد المنسر يكون ابيض. ويأوي البُلَحُ الى الحراج التي تجاور البحر او البُحيرات التي في شمالي الكرة الارضية. وفي الشتاء يكثر على سواحل انكلترة وفرنسة. وقصتهُ اشهر من ان يُذكر». اه. -Bouillet.. *Dict. scient.* dernière édition. *Art.* Orfraie et Pygargue.

قراءة بعض الكتابات الشرقية وتفسيرها

للاب س. رترڤال اليسوعي (تابع لما سبق ص ٥١٤ — ٥٢٢) (*

* فاتنا في تفسير الكتابة السادسة ذكر علَم مؤنثٍ نبَّهنا عليهِ حضرة الاب تاتاي المحترم وهو «هَذْلا او هَذْله» الشائع عند مسلمي البقاع والمتاولة خاصَّةً. وبين هذا العلَم والعلَم الوارد في الكتابة المذكورة مطابقة جليَّة تغنينا عن اطالة الكلام. ولحضرة الاب المذكور ملاحظات اخرى في اسماء الاعلام عند العامَّة وصورها الغريبة. فنساءُ ان ينشرها قريبًا فيتحف بها العلماء الذين يبحثون عن اوزان الاسماء واشتقاق الاعلام وخواصّ معانيها

الكتابة العربية الثامنة

كنا قد وعدنا قراءنا الافاضل بنشر صورة الكتابة التي اشهرنا مضمونها سلفًا في عددٍ سابقٍ (٣: ص ٥١٩) ولهذا الاثر من حيث تاريخ تقلُّبات الخطوط العربيَّة اهميَّة لا تُنكر اكتفينا لبيانها بما قدمناهُ من الشروح في الموضع المذكور

واعلم ان الصورة المرسومة في ص٧٣٩ليست مأخوذة عن طبع ورق كما كنَّا نأملهُ فان الحجر الاصلي لم يوجد الى هذه الغاية مع كل ما صُرف من الجهد في امر اكتشافهِ.

ولذلك احببنا ان نقتطف النصّ التالي من الوكيّ تكرّم علينا بها الاب يعقوب الكبوشي الجزيل الاحترام فارسلها الينا من القُرَيّة (لبنان) بتاريخ ٩ حزيران المنصرم. وهــذه الرسالة مفيدة لاظهار قلة المتعاطين لدرس العاديات الشرقيّة في هذه الديار وغيرها فضلًا عن انها تغنينا عن تكلُّف وصف الاثر وتعيين خواصه. قال المراسل الاديب:

حضرة الاب الجليل – انهُ من زمن طويل قد حظيتُ بكتابك وتأخير جوابي لحضرتك الى هذا اليوم ما هو الّا لاسباب اخصها واهمها عدم وجود الكتابة الاصليــة في ديرنا هنا لان الحجر باقٍ في بيت خشبو. وقد تعبت كثيرًا لاحصل عليهِ وارسلهُ الى حضرتك لكن تعبي لم يأتِ بفائدة. والآن بعد ما تحقّقتُ خيبة امالي اكتفيت بان ارسل اليك احدى النسختين اللتين نُقلتا تمامًا من الرسم الاصلي بسعي احد آباء ديرنا وقد أُرسلت الثانية منــذ عدة اشهر الى رومية تُحفظ هناك في معرض التحف خاصّة الاباء الفرنسيسكان. فهؤلاء قد طلبوا مني هذه الكتابة الامر الذي أدهشني حيث لا بد من وجود علماء قديرين على تفسيرها خاصةً في بلدة شهيرة نظير روميــة. فاخذتُ اسعى في ادراك مناها ولمّا لم استطع على قراءة السطر الثاني منها مع قسم من الثالث عرضتهــا على بعض الادباء ولم تزل تمرّ من يد الى اخرى الى ان وصلت الى حيث يجب ان تصل. فالان اذا كان مرادك ايهــا الاب الوقور تحريرها في مجلة المشرق فلا يوجد مانع من نحونا افعل ما تشاء وتريد. فقط يبين لي انهُ موافق جدًّا قبل مباشرة هذا العمل التملك على الحجر الاصلي الموجود في بيت خشبو . . . ثم اجيب ١ً بخصوص المكان: قد وجدنا الكتابة ضمن الدير (اي دير بيت خشبو) ولا نعلم عن اي قبر أُخذت و اذا كان هذا القبر قرب الدير ام خارجًا عنهُ. ٢ً ان هــذه الكتابة محفورة على بلاط رخام وقياسها تراهُ على قطعة القماش المرسلة الى حضرتك (معظم طولها ٤٦ سنتيمترًا في عرض ٣٥ س) . . . واما سمكها فلا يتجاوز ٦ س. ولا يلزم ان أُعيد ما ذكرتُ اي ان هذه النسخة نُقلت عن الاصــل بكل تدقيق ورسم الحروف هو عينهُ مطابق رسم الحجر ولا يوجد فرق الّا في كلمة « شهر [رجب] ». فالهاء التي في لفظة شهر هي مدورةٌ فقط على الحجر خالية من الخطّ المارّ في وسطها . . . وما بقي من الكتابة فهو صحيح...

فلمّا وصلنا هذا المكتوب الدالّ على عنــاية جزيلة وهمّة محمودة كتبنا حالًا الى احد اصدقائنا في غزير ملتمسين من لطفهِ التفتيش عن اصل الكتابة. لكن امالنــا خابت ثانيةً فلم يبقَ من وسيلة سوى اشهار مضمونها عن النسختين المتقنتين اللتــين بعث بهما حضرة الاب الكبوشي المحترم. فاليك قراءة الكتابة:

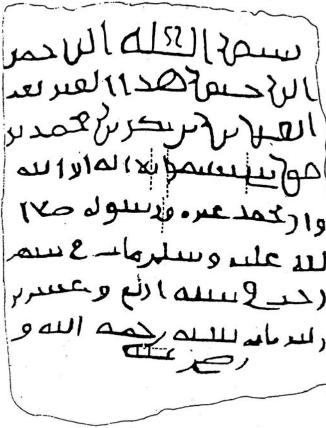
١ً بسم لله الرحمن ٢ً الرحيم هذا القبر لعبد (١ ٣ً القيم بن برمك (٢ بن محمد ابن

---

١) ان شككت في صحّــة قراءة هذه الكلمة قابل صورتها بما يأتي منها في السطر الخامس ترى ان عدم ظهور الباء في النسخة لا يُلتفت اليهِ

٢) يزبك او يزيد او يزبكي الخ. وهنا ايضًا يجوز الافتراض ان النسخــة اضافت حرفًا الى نهاية الكلمة او بالحري ان الذيل الذي كان ينتهي بهِ ذاك العلم لم يُحفظ بتمامهِ على الحجر

٤ هُوَيْني يشهد ان لا اله الّا الله ٥ وان محمد (كذا) عبده ورسوله صلًا (كذا) ٦ الله عليهِ وسلّمِ مات في شهر ٧ رجب في سنة اربع وعشرين ٨ وثلث مائة سنة (١ رحمهُ الله و ٩ رَضي عنهُ



الكتابة العربية الثامنة

فان قابلت بين هذا النص وقراءتنا الاولى وجدت دون ريب ان الفرق طفيف بل

١) هذا التكرار من سهو الناقش

ان اصلاحاتنا للنسخة الاولى السقيمة كانت كلها صوابيَّة . ولمزيد بيان بعض هذه الاصلاحات وضعنا في الرسم فواصل نقطيَّة بين الكلمات التي وصلها الناقش او الناسخ لسوء حال اواخرها واوائلها . ومن البديهي ان افتتاح السطر الثامن لا يمكن ان يُقرأ الَّا كما رسمناهُ رغمًا عن تشوّه احرفهِ في الحجر والنسخة معًا

الكتابة العربيَّة التاسعة

هذه الكتابة والتي تليها مأخوذتان عن متحف عاديات حضرة الدكتور روفيه . وقد تكرَّم جنابهُ باهدائهِ الينا هذين الاثرين النفيسين اللذين لم ننشر على امثالهما الى هذه الغاية . وفي متحف عاديات الدكتور نفسهِ بضعة آثار تدمريَّة سننشرها فيما بعد ان شاء الله

قد بيَّن حضرة الاب لويس شيخو في توطئة تاريخ فنّ الطباعة في الشرق (المشرق ٣ : ٧٩) قِدَم عهد ذاك الفنّ عند العرب . وبعد ان اورد الادلَّة المثبتة رأيهُ ختم كلامهُ بما نصّهُ: « وهذا دليل على ان العرب كانوا يعلمون فنّ الطباعة على الحجر وكانوا يحفرون ايضًا الخشب للطبع الخ . . . » . والحقّ يقال ان كتابتنا هذه تؤيد رأي حضرتهِ تأييدًا قويًّا . ولا حاجة الى الاطالة في وصف هذا الاثر لوضوح الصورتين المرسومتين فليراجعهما القارئ اللبيب (ص ٧٤١) وليعلم ان الحجر غير كامل (١ وان الحروف محفورة عليه من الشمال الى اليمين شأن جميع الطوابع . ولذا اخذنا عنها رسمها الطبعي فسوَّدنا ظهرهُ تسهيلًا للقراءة . اما الاصل فاكتفينا بتبييض حروفهِ دون تصغير جرمهِ

ومضمون الكتابة معروف يغنينا عن ايرادهِ ما اشهرنا منهُ في هذه المجلة عند قراءتنا الكتابة العربيَّة الاولى (المشرق ٣ : ٣٢)

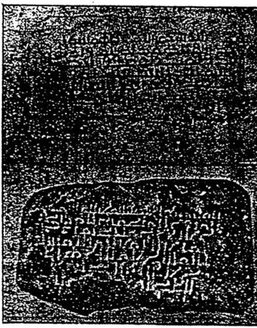
وممَّا يُوسف لهُ انَّ الكتابة خلوة من التاريخ . غير ان شكل حروفها وهو كوفيّ محض او بسيط ينبئ بقدم نقشها

وان سُئلنا عن استعمال هذا الطابع الخاصّ قلنا بكل سذاجة اننا نجهلهُ ولعلَّنا سنجهلهُ وقتًا مديدًا ريثما يسعدنا الحظ على اكتشاف غيرهِ من امثالهِ . ولعلَّ العلماء اشاروا الى مثل هذه التحف فلم نطَّلع على ما كتبوهُ في هذا الصدد . فان كان عند احد قرائنا الكرام اثرٌ ما او رسم اثر يضاهي الحجر المنشورة كتابتهُ في هذا الموضع

١) هذا الحجر من الرخام السمَّاقي الضارب الى الخضرة وهو كثير الصلابة . فلولا ذلك لما صبرت الكتابة على الدهر

فليتفضّل علينا بالاشارة الوافية فنكون لهُ من الشاكرين. ولا خفاء ان في اشهار هذه الكتابات خدمة معتبرة للعلم لاسيما فيما يختصّ بعوائد الشعوب وضبط تواريخ الفنون وتعيين التقلّبات المختلفة التي طرأت عليها في ممرّ الاعصار فبلّغتها الى الغاية التي نراها عليها اليوم من التقدّم والنجاح

وبخصوص فنّ الطباعة لنا بعض التفاصيل غير التي ذكرها حضرة الاب شيخو في المقالة الموما اليها ولا بأس من التلميح اليها في هذا المقام على سبيل الاستطراد المفيد فنقول :



ان بني البشر على اختلاف مللهم لم ينفكّوا منذ ظهر العمران على وجه المعمور يفتشون عن طريقة لتدوين افكارهم بالطبع . والدليل على ذلك ما ورد في رسالة

١. ف. ديدو المعنونة *Essai sur la typographie* (ص١) قال المؤلف الشهير: « ان جميع الذين تفرَّغوا للبحث عن زمن وضع فنّ الطباعة واصولهِ تعجَّبوا تعجبًا شديدًا من كون سلفائنا الاقدمين قد اخطأُوا الهدف مع انَّ سهامهم كادت تصيبهُ فيعثر العلماء منهم على اكتشافٍ طالما نفتخر بهِ نحن المتأخرون ». ثمَّ اردف كلامهُ بالنصوص اليونانيَّة التي تنبئ بكون قدماء اليونان قد اخترعوا في القرن الرابع قبل المسيح ذريعتين جميلتين للطبع الاولى استعمال بعض الطوابع الثابتة على مادَّة مبلَّة والثانية استخدام حروف منفردة كحروف مطابعنا. ثم اورد الشهادات اللاتينيَّة التي تثبت ان الرومان كانوا يصوّرون حروفهم الابجديَّة على العاج وما اشبه ذلك فيقطعونها حرفًا حرفًا لتعليم اولادهم الصغار. وان الكاتب ڤرُّون الطائر الصيت كان طبع على صُحُف كتابٍ لهُ في التواريخ صُوَر مشاهير الرجال وقد اخترع لبلوغ المرام واسطة مُستملحة توازي الطريقة الشائعة عند الصينيين منذ عهد عهيد (راجع المشرق ص ٧٨)

وممَّا يزيل كل شبهة في الامر الذي نحن بصددهِ ان الخزفيين من قدماء اليونان على اختلاف مواطنهم كانوا يستعملون حروفًا منفردةً لرسم اعلامهم واسمائهم على الاواني والبضائع التي كانوا يبيعونها. وهذا امر أكيد اثبتهُ العلامة الفريد دومون في تأليفهِ على الكتابات الفخّاريَّة (١ فاتى عليهِ بالبيّنات الحسيَّة والادلَّة القاطعة التي تزيدنا عجبًا من تقصير سلفائنا عمَّا وصلت اليهِ صناعة الطباعة في القرون المتأخرة (٢

بيد انَّ لكل معلول علةً. فان الاقدمين مع كل ما بذلوا من الجهد وما ابدأوهُ من التفنن وحذق العقل لم يسعدهم الحظ على اكتشاف مادَّة معدنيَّة تكون صلبةً ومرنة معًا كمادة حروف مطابعنا. ولا على اختراع حبر دهنيّ يتجفَّف تمامًا. ولا على اصطناع ورق غير البرديّ الذي يتشقَّق بسهولة كليَّة وليس لهُ ادنى لِيان. فسبحان الله الذي يعطي من يشاء وكما يشاء ومتى يشاء (ستأتي البقيَّة)

---

١) طالع *Archives des Missions scientifiques*, 2ᵉ série, 1871, VI : *Inscriptions céramiques de Grèce* وقابل Rev. arch. 1848 p. 120

٢) قد اخبرنا حضرة الاب تاتاي انهُ شاهد في جوار قرية فرزل التي موقعها في البقاع على منحدر جبل لبنان ان المتاولة ياخذون طينًا فيعجنونهُ ويصنعون منهُ قوالب حروف لبعض الطلاسم الشائعة عندهم. واضاف حضرتهُ الى ذلك ان الاحداث في قرى البقاع حيث يكثر تراب الفخَّار

الصين والمسألة الصينية

نظر تاريخيّ للاب لويس شيخو اليسوعي

بينما كانت ابصار الدول شاخصة الى جنوبي افريقية والعالم كلهُ في انتظار ليرى كيف تنجلي هذه الحرب العوان القائمة على ساق منذ سنة بين امّة عظيمة شديدة السطوة وشعبٍ صغير يؤثر الموت على فقد الحرية اذ برقت بوارق الثورة من اقاصي الشرق ودوى هزيم رعد الفتن وصعقت صواعق الهيجاء. فكادت هذه الخطوب تُنسي زاع الاسد البريطاني والثور الترنسڤالي. وايمُ الله انَّ هذه الحرب الجديدة اذا ما دارت رحاها بين « المملكة السماويّة » والدول الاوربيّة سوف تعرك النفوس عركًا وتُسيل الدماء سيولًا وتثقل وطأتها على بلاد واسعة وتنتشر ويلاتها بين أقوام لا يحصيهم العدّ. بل قل انَّ الحرب تقوم بين عالمَين العالم القديم مع تمدُّنهِ العادي واستمساكهِ بتقاليدهِ الجدّيّة وعوائدهِ الجيليّة والعالم الحديث مع وسائلهِ العديدة واختراعاتهِ الجديدة وتفاخرهِ بسموّ المدارك وثباتهِ في تنفيذ المآرب وطمعهِ في كسر شوكة معاديهِ الذين يتعرّضون لهُ في سبيل رغائبهِ. والله اعلم بما سيكون من امر الغالب او المغلوب. وبينما نحن نتوقَّع بفروغ الصبر ما يضمرهُ لنا المستقبل طالبين من ربّ السلام ان ينجي عبادهُ من بلايا هذه الشرور العظام اردنا ان نوقف قرّاءنا على شيء من أحوال الصين ليكونوا على بصيرة من امرها ويعرفوا كيف بلغت ما هي عليهِ اليوم من تفرّق الكلمة وكثرة الشغب وماذا يُفهم « بالمسألة الصينيّة » وهل للاجانب حقوق في تلك البلاد يمكنهم الدفاع عنها اذا ما انتهك الصينيّون حرمتها مع لمعة من تاريخ النصرانيّة في ممالك الصين

١ تعريف بلاد الصين

الصين او الچين اسم قديم مشتقّ من اسم احدى السلالات المالكة على الصين في القرن الخامس عشر قبل المسيح. فشاع اوّلًا في بلاد الهند ثمَّ في سائر البلاد. امّا

يصنعون مثل صنع المتاولة على سبيل اللعب والتسلية فيحفرون اسماءهم على الطين فاذا يبس الطين يطبعون ما كتبوا فيهِ على الورق ويحرقون النسيج وما شاكلها. وذلك كلهُ لا يخفى دليل جديد واضح على انَّ الآراميين حتّى الاولاد منهم مجبولون على حبّ الكتابة وكل ما يؤول الى تخليد افكارهم واعمالهم

الصينيّون فانهم يدعون بلادهم غالباً باسم « تشونغ كو » اي مملكة الوسط ايذاناً باعتقادهم انّ صورة العالم على شبه دائرة مسطّحة في وسطها الصين. وهو معتقد كثير من الاقدمين. وكان اليونان والرومان يعرفون الصين مع بعدها عن تخومهم ويدعون اهلها سيرًا (Seres). ومن اسمهم اشتقوا اسم الحرير فدعوهُ السيري (sericum)

وبلاد الصين من اوسع الممالك مساحة تبلغ سعتها نيفًا واحد عشر الف الف كيلومتر مربّع اعني انّها وحدها اكبر من اوربّة جمعاء بنحو مليون كيلومتر وهي تمتدّ بين ١٧° و ٥٥° من العرض الشمالي وبين ٦٧° و ١٤٣° من الطول الشرقي يحدّها شرقاً وجنوباً الاوقيانوس الكبير ببحاره المتفرعة منهُ وهي بحر يابان والبحر الاصفر وبحر كورية وبحر الصين وتحدُّها شمالاً بلاد سيبيرية وغرباً تركستان وغرباً وجنوباً هندستان والهند الصينيّة وكلّ هذه الحدود مركّبة من بحار زاخرة واطواد شامخة اقامتها الطبيعة بنفسها كحواجز تفرز الصين عن غيرها من البلدان. ويسكن هذه الاقطار السحيقة ما يناهز ثلث سكّان العالم فانّ الاحصاءات المدقّقة التي بلغ اليها الجغرافيون تجعل عدد اهل الصين في الوقت الحاضر ٤٣٠,٠٠٠,٠٠٠ بل از يد. وهو عدد يقرّرهُ المرسلون الذين بحثوا عن أحوال تلك البلاد وتبيّنوا امورهم بغاية ما امكنهم من التنقيب

هذا ولا بُدّ هنا من تنبيه القرّاء على انّ المملكة الصينيّة اوسع حدودًا من نفس الصين فانّها تحتوي فضلًا عن الصين بلاد منشوريا وكورية والمغول والتركستان الصيني والتّبت واليوتان لانّ حكم ملوك الصين كان يمتدّ اليها حتى زماننا. على انّنا نجتزئ في نبذتنا هذه بالكلام عن الصين وحدها دون هذه الملحقات التي كثيرًا ما يُطلق ايضًا عليها اسم الصين اتساعاً

فان قصرنا النظر على الصين بالحصر المذكور وجدنا انّ هذه الدولة تباري اقدم الدول عهدًا واعظمها سؤددًا واجمعها لضروب المفاخر واصناف المكارم وهي اليوم كما كانت قبل ثلاثة آلاف سنة تحافظ على استقلالها وسنن اجدادها وسعة تخومها وامتداد سطوتها بما لا مزيد عليهِ من الحرص يشهد على ذلك بقايا سورها العظيم الذي اقامتهُ

١) بل كان للصين سيطرة في القرون الخالية على بلاد عديدة كاليابان والتنكين والانام وسيّام وكانت هذه الاقطار تحيط بها احاطة الدارة بالهلال ولعلّها دعيت ايضاً لذلك « بمملكة الوسط » لتوسّطها بين هذه الممالك وسيادتها عليها

في وجه اعدائها على امتداد نحو ثلاثة آلاف كيلومتر بعلوّ يبلغ تسعة امتار لتردّ من يناويها خاويًا منكوصًا

والصين تُقسم في عهدنا الى ثماني عشرة ولاية ستّ منها بحريّة والباقي منها بعيد عن البحر. واكبر الولايات البحريّة ولاية التشيلي التي حاضرتها شونتيان وهي عاصمة الصين تُعرف عند الاوربيين باسمها القديم بكين اي القصر الشمالي بقرب نهر پيهو متّصلة بهِ بقناة واسعة وهي قسمان المدينة الداخلية من بناء التتار وفيها قصر الملك والمدينة الخارجية من بناء الصينيين يضمّهما سورٌ واحدٌ مداره ٢٧ كيلومترًا. اما اهلها فيبلغ اليوم عددهم نحو مليونين. وقدماء العرب عرفوا پيكين ووصفوها وهم يدعونها «خان بالق» او «خمبالو» ولبكين مدينة اخرى تعدّ كمدخل لها ومرسى للسفن وهي مدينة تيان تسين من اكبر مُدن الصين التجاريّة يناهز سكّانها عدد المليون تبعد عن بكين نحو ١٠٠ كيلومتر

ومن الولايات البحريّة ولاية شانغ تُنغ عاصمتها تسينان فو على النهر الاصفر وقد جاء ذكرها مرارًا في جغرافيي العرب وهم يدعونها خُمدان وهي مشهورة بحريرها

ومنها ولاية كيان سو التي حاضرتها نان كين من اكبر مدن الصين كانت سابقًا تخت الملك ومركزها في سهل واسع الارجاء كثير الخصب والريع وبقربها يجري نهر كيانغ ومن آثارها القديمة بُرجها ذي العشر طبقات كلّهُ من الخزف الصيني الثمين. وفي هذه الولاية نفسها مدينة سو تشيوفو عدد اهلها كعدد اهل بكين وهي تدعى جنّة الصين لحسن تربتها وجودة هوائها. وفيها ايضًا مدينة اخرى معتبرة عند مصبّ النهر المذكور وهي شنغاي ذات التجارة الوافرة التي تربط عندها السفن الاوربيّة والاميركية يبلغ مجمل كمية معاملاتها السنويّة مليارًا من الفرنكات. ولشنغاي ارباض حلّ فيها الاوربيون وبنوا الابنية الفخيمة وهي اشبه بمدينة حديثة معلّقة بها

وفي هذه الولايات البحريّة ايضًا ولاية فوكيان وهي كثيرة الخيرات فيها الامصار المصّرة والمراسي المعتبرة وأمهات المدن مثل فوتشيوفو وتشان تشيوفو اي المدينة السعيدة (اهلها الف الف) وهيامن المدعوّة ايضًا أموي. وقد ذكر العرب القدماء من هذه الولاية مدينة زيتون كانوا يتاجرون فيها والصينيون يدعونها تسوتُنغ. وجزيرة فرموزة الشهيرة تلحق بولاية فوكيان

وفيها ايضاً ولاية تشي كيانغ التي ورد اسم عاصمتها هانغ تشيوفو (فيها مليون من النفوس) في اسفار العرب وقد دعوها في رحلاتهم خنساء قال ابن بطوطة في رحلته (٤: ٢٨٤): « واسمها على نحو اسم الخنساء الشاعرة... وهذه المدينة اكبر مدينة رأيتها على وجه الارض طولها مسيرة ثلاثة ايام يرحل المسافر فيها وينزل.. كلّ احد لهُ بستانهُ ودارهُ وهي منقسمة الى ست مدن »

وفيها اخيرًا في جنوبي الصين ولاية كوان تنغ قد اشتهرت من مدنها مدينة كانتتون المدعوَّة ايضاً بلسانهم كوان تشيوفو وكان الاوربيون مدَّة اجيال عديدة لا يدخلون مدينة غيرها من الصين موقعها قرب مصبّ نهر تشيو كيانغ واهلها يربون على الف الف وفي جنوبها جزيرة ماكاو التي بنى فيها البرتوغيون بلدة كبيرة دعوها باسم الجزيرة. ومن مُلحقات هذه الولاية جزيرة هَينان الغنيَّة بمعادنها الذهبيَّة واخشابها الكريمة

امَّا الولايات الداخليَّة البعيدة عن البحر فهي مع سعتها وكثرة اهلها وجودة صنائعها دون الولايات السابق ذكرها نكتفي بذكر بعضها كولاية شان سي التي فيها مدينة من اعظم مدن الصين تدعى سينغان فو وهذه الولاية سبقت بقيَّة ولايات الصين بتمدُّنها وعظمتها. وكولاية كيانغ سي حاضرتها كِنغ تي تشنهغ الشهيرة بخزفيَّاتها الصينيَّة (عدد اهلها مليون). وولاية هونان الملقَّبة فردوس المملكة الصينيَّة. وغير ذلك من الولايات الكبيرة

والصين مع ولاياتها العديدة واتساع حدودها تُقسم من حيث ارفاقها الطبيعيَّة واختلاف هوائها الى ثلاث مناطق احداها المنطقة الشمالية يغلب عليها الجبال العالية ويشتدُّ فيها البرد لكنها كثيرة المعادن كالذهب والفضة والنوشادر والرصاص والحجارة الكريمة وفيها ايضاً ظبي المسك. والمنطقة الثانية هي المنطقة المعتدلة انحازها غزيرة الخيرات كثيرة الغلَّات تُزرع فيها انواع البذور لاسيما الارزّ وهو معظم قوت الصينيين. ومثلها المنطقة الجنوبية وفيها يكثر زرع الشاي الذي يجدي بلاد الصين ارباحاً فاحشة

٣ اهل الصين وعوائدهم

الصينيون كالاوربيين من ابناء يافث على الاصحّ وهم يدخلون في الشعب المغولي لانَّ صفاتهِ في المغول اظهر منها في غيرهِ. وقد دُعي ايضاً هذا الشعب بالسلالة

الصفراء لصفرة ابنائها ومن سماتهم المفرزة لهم عن السلالتين الأُخريين وهما البيضاء والسوداء ان وجوههم عريضة مسطَّحة ووجناتهم شاخصة وعيونهم مستطيلة ضيّقة ترتفع الى جهة اصداغهم وفي انوفهم فطَسٌ في اعلى قصبتها ولهم شفاه ناتئة في غلاظ وشعرٌ سَبطٌ اسود جافٍ ورؤُوس مخروطة الشكل. ولونهم اصفر يضرب الى السُمرة. امَّا اخلاقهم فيغلب عليها اللين والدماثة والرِقّة والصيني لا يحبّ القتال ومعمعة الحروب وفي طبعهِ جبنٌ وفشل. وهو مع ذلك كثير الحيل والخداع شديد الطمع في المال معاقرٌ للمسكرات مغرمٌ باعماله وتاريخ اسلافه يرى نفسهُ فوق من سواهُ ولا يعتبر الّا ما صنعهُ بيدهِ

والعائلة الصينيَّة ذات أُلفة وارتباط يكرم الصغار والديهم ويحن الوالدون الى اولادهم: ومع هذا ترى كثيرين منهم لقلَّة ذات يدهم يعرضون اطفالهم على المزابل تأكلها الكلاب والخنازير او يبيعونهم بابخس الاثمان والمرسلون الكاثوليكيون ينجُّون منهم في كلّ سنة نحو خمسين الفًا يعطفون عليهم ويربُّونهم تربيةً صالحة

والمرأة في الصين مهذَّبة مكرَّمة شريفة الطباع تخرج من دارها غير محجوبة ليس على رأسها رداء يسترهُ وانَّما تجعل شعرها جمةً تضفرها في قمَّة رأسها وتزينهُ بالزهور الصناعيَّة. ويستحبّ الصينيون في نسائهم السمن وضخامة الجسم وصغر الاقدام يضغطونها ضغطًا متواليًا في قوالب حرجة تكفُّها عن النموّ

ومن آفات العائلة الصينية كثرة الازواج ترخّص بها السُنن المليَّة الّا انَّها بين الاعيان والوجوه اشيع منها بين جمهور الشعب

واهل الصين اربع طبقات الاشراف وهم ارباب القلم والسيف ثمَّ اصحاب الاملاك وهم ارباب الفلاحة ثمَّ اهل الصناعة ثمَّ التجار ولكل هذه الطبقات عادات مشهورة واطوار شائعة وسُنن ورثوها عن اجدادهم لا ينتهكون حرمتها البتة

ومن عوائدهم انَّ الرجال يحلقون رؤُوسهم الّا ذؤابةً في وسطها كثيفة طويلة يرسلونها وراء ظهرهم. والاشراف منهم لا يقلّمون اظفارهم

والصينيون يلبسون الثياب الواسعة من القمصان والسراويل تُصنع من نسيج القطن او الحرير يتأنق فيها كبارهم. وعلى رؤوسهم قبعات تسترها والبسة اهل الصين تكون

زرقا او بنفسجيّة او سودًا للرجال وخضرًا او ورديّة للنساء. امّا اللون الاصفر فهو مختصّ بالامبراطور واسرتهِ

وقد وجدنا في كتاب « سلسلة التواريخ » لبعض سيّاح العرب في القرن العاشر للمسيح يدعى سليمان التاجر وصفًا لاهل الصين وعوائدهم احببنا ان نقتطف منهُ طرفة لندرة هذا الكتاب في بلادنا ولمطابقة وصفهِ لكثير من احوال الصينيين في ايامنا بعد مضيّ نحو الف سنة على كتابتهِ قال (ص٢٤ ,ed. Reinaud, II):

« وطعام الصينيين الارز وربّما طبخوا معهُ الكوشان (صنف من الادم) فصبّوهُ على الارز فاكلوهُ فامّا الملوك منهم فيأكلون خبز الحنطة واللحم من سائر الحيوان ومن الخنازير وغيرها وشرابهم النبيذ المعمول من الارز وليس في بلادهم خمر ولا يعرفونها ولا يشربونها ويُعمل من الارز الخلّ والنبيذ والناطف وما اشبه ذلك. ويأكلون الميتة وما اشبها. ونساؤهم يكشفنَ رؤوسهنَّ ويجعلن فيها الامشاط فربّما كان في رأس المرأة عشرون مشطًا من العاج وغير ذلك والرجال يغطّون رؤوسهم بشيء يشبه القلانس... (ص ٣١) واهل الصين يتّخذون من قرون الكركدّن المناطق تبلغ المنطقة الفي دينار واكثر...

«(ص٣٣) ويُقال ان لملك الصين من امّهات المدائن اكثر من مائتي مدينة ولكل مدينة ملك وخصيّ وتحت كل مدينة مدائن. وانّما تُسمّى مدينة اذا كان لها الجادم والجادم مثل البوق يُنفخ فيهِ وهو طويل. طولهُ ثلاثة او اربعة اذرع ورأسهُ دقيق بقدر ما يلتقمهُ الرجل ويذهب صوتهُ نحوًا من ميل ولكل مدينة اربعة ابواب على كلّ باب منها من الجادم خمسة تُنفخ في اوقات معلومة من الليل والنهار وعلى كل مدينة عشرة طبول تُضرب معهُ وانّما يُفعل ذلك لتُعلم طاعتهم للملك وبهِ يعرفون اوقات الليل والنهار ولهم علامات ووزن للساعات. ومعاملاتهم بالفلوس وخزائنهم كخزائن الملوك وليس لاحد من الملوك فلوس سواهم وهي عين البلاد. ولهم الذهب والفضّة واللؤلؤ والديباج والحرير وكل ذلك كثير عندهم غير انّ ذلك متاعٌ والفلوس عينٌ.. والفكّوج عندهم الف فلس. ولهم الغضار (وهو طين الخزف) الجيّد يُعمل منهُ اقداح في رقّة القوارير يُرى ضوء الماء فيها وهو من غضار

« (ص٣٦) واذا مات الرجل من اهل الصين لم يُدفن الّا في اليوم الذي مات

في مثلهِ من قابل ويحملونهُ في تابوت ويخلّونهُ في منازلهم ويجعلون عليــهِ النورة فتمصّ ماءهُ ويبقى . والملوك يُجعلون في الصبر والكافور . ويبكون على موتاهم ثلاث سنين ومن لم يبكِ ضُرب بالخشب كذلك النساء والرجال . . ويدفنون في ضريح كضريح العرب . ولا يقطعون عن ميتهم الطعام ويزعمون أنهُ يأكل ويشرب . . . ولا يزالون في البكاء والإطعام ما بقي الميت في منزلهم فيفتقرون على موتاهم فلا يبقى لهم نفقة ولا صيغة ألّا انفقوها عليهم وقد كانوا قبــل هذا يدفنون الملك وما ملك من آلة بيتهِ من ثياب ومناطق . . وقد تركوا ذلك الآن وذلك أنهُ نُبش بعض موتاهم وأُخذ ما كان معهُ

« والفقير والغني من اهل الصين والصغير والكبير يتعلم الخط والكتابة . (ص ٤٧) وفي كلّ مدينة كتّاب ومعلّم يعلّم الفقراء واولادهم من بيت المال يأكلون

« واسم ملوكهم على قدر الجاه وكبر المدائن . . امّا الملك الاكبر فلا يُرى الّا في كلّ عشرة اشهر يقول : « اذا رآني الناس يستخفّون بي والرئاسات لا تقوم الّا بالتجبُّر » . واذا غلا السعر اخرج السلطان من خزائنهِ الطعام فباعهُ بارخص من سعر السوق فلا يبقى عندهم غلاء . . والذي يدخل بيت المال انّما هو الجزية التي على رؤوسهم واظنّ ان الذي يدخل بيت مال « خانفو » في كلّ يوم خمسون الف دينار على أنّهــا ليست باعظم مدائنهم . ويختصّ الملك من المعادن بالملح وحشيش يشربونهُ بالماء الحارّ ويباع منــهُ في كلّ مدينة بمالٍ عظيم ويقال لهُ الساخ (يريد الشاي) وهو اكثر ورقاً من الرطبــة واطيب قليلًا وفيهِ مرارة فيُغلى الماء ويُذرّ عليهِ فهو ينفعهم من كلّ شيء .

« وفي كل مدينة شيء يُدعى الدرا وهو جرس على رأس ملك تلك المدينة مربوط بخيط مارّ على ظهر الطريق للعامّة كافــةً وبين الملك وبينهُ نحو من فرسخ فاذا حُرّك الخيط الممدود ادنى حركة تحرّك الجرس فمن كان لهُ ظلامة حرّك هــذا الخيط فيتحرّك الجرس منهُ على رأس الملك فيؤذن لهُ بالدخول حتى يُنهي حالهُ بنفسهِ ويشرح ظلامتهُ وجميع البلاد فيما ذلك

« (ص ٥٢) واهل الصين اهل ملاهي . . واذا ارادوا التزويج تهانأوا بينهم ثمّ تهادَوا ثمّ يشهرون التزويج بالصنوج والطبول وهديّتهم من المال على قــدر الامكان . . ويتزوّج الرجل من الصين ما شاء من النساء . . (ص ٥٤) وهم يعبدون الاصنام ويصلّون لهــا ويتضرّعون اليها ولهم كتب دين . . (ص ٥٧) وليس لاهل الصين علم وانّمــا ديانتهم

من الهند وهم يزعمون ان الهند وضعوا لهم البددة (Bouddhisme) وانهم هم اهل الدين وفي كلا البلدين يرجعون الى التناسخ ويختلفون في فروع دينهم. والطب والفلسفة بالهند ولاهل الصين ايضاً طبّ واكثر طبهم الكيّ ولهم علم بالنجوم وذلك بالهند اكثر...

« (ص ٣٥) ودوابهم كثيرة وليس لهم خيل عربية بل غيرها ولهم حمير وابل كثيرة ولها سنامان.. (ص ٥٧) وليس للصين فيلة ولا يتركونها في بلادهم تشاؤماً بها

«(ص ٥٨) وبلاد الصين انزهُ من بلاد الهند واحسن واهلها في كل موضع لهم مدينة محصنة عظيمة وبلادها اصحّ واقلّ امراضاً واطيب هواء لا يكاد يُرى بها اعمى ولا اعور ولا من بهِ عاهة وهذا كثير في بلاد الهند. وانهار البلدين جميعاً عظام فيهما ما هو اعظم من انهارنا والامطار بالبلدين جميعاً كثيرة.. واهل الصين اجمل من اهل الهند واشبه بالعرب في اللباس والدوابّ وهم في هيئتهم وفي مواكبهم شبيه بالعرب يلبسون الاقبية والمناطق.. (ص ٥٤) واكثر اهل الصين لا لحى لهم خلقةً

« (ص ٧٥) واهل الصين من احذق خلق الله كفًّا بنقش وصناعة وكلّ عمل لا يتقدمهم فيهِ احد من سائر الامم. والرجل منهم يصنع بيدهِ ما يقدّر انّ غيره يعجز عنهُ فيقصد بهِ باب الملك يلتمس الجزاء على لطيف ما ابتدع فيأمر الملك بنصبهِ على بابهِ من وقتهِ ذلك الى سنة فان لم يُخرج احد فيهِ عيباً جازاهُ وأدخلهُ في جملة صنّاعهِ وان خرج فيهِ عيب اطّرحهُ ولم يُجازهِ » (ستأتي البقيَّة)

جغرافية سوريّا وفلسطين

للاب هنري لامنس اليسوعي

انتقدنا في المشرق (٣ : ٤٧٤) والا نتقاد من سُنن الادباء كتاباً وسمهُ بهذا العنوان مؤلفهُ الاديب جناب فضل الله ابو حلقة مدير جريدة الجنة. فاثنينا على ما وجدنا في هذا التأليف من الصفات الحسنة وألحقنا ثناءنا ببعض الملاحظات كان بودنا ان ينتفع بها صاحب الكتاب في تحسين عملهِ وكنّا ضربنا صفحاً مع ذلك عن اغلاط عديدة. فظنّ جناب الكاتب انّ قولنا هذا محض اختلاق واننّا قاصرون عن وجود خلل في كتابهِ (ولا غرو فان الانسان معجبٌ بعملهِ) فكرّر علينا غير مرة بعنفٍ في مجلة الجنة (نعم الاسم ونعم المسمّى) ان نبيّن لهُ هذه الاغلاط ان

استطعنا. والحق يقال انَّ سكوتنا لم يكن عن عجز بل عن تأدُّب. لكن اليوم قد عاد المؤلف فسلقنا بألسنة حداد ونادى على رأس الملإ بقصورنا « وطفّلنا على مائدة العلوم » التي جلس هو عليها ضيفاً كريماً. فلم يترك لنا بعد هذا القذف مناصاً من تلبية دعوته. وعليهِ أتينا لهُ ببعض ملاحظات على النصف الاول من تصنيفهِ ولئلّا يحصل من جراء هذا الانتقاد سأم للقراء يحرمهم الفائدة المبتغاة منهُ فنوردهُ على ترتيب معلوم

١ قِدَم سورية . قال الكاتب النحرير (ص ٤) عن برّ الشام: « وهذا البلد اقدم بلاد العالم » — (قلنا) امَّا ان جناب المؤلف يريد برّ الشام من حيث تركيبهِ الجيولوجي وهذا لا معنى لهُ لانَّ كلَّ البلاد يمكنها ان تدَّعي هذا القدم وامَّا من حيث تاريخهِ وهذا ليس بصواب لانَّ الآثار التاريخيَّة المصريَّة والبابليَّة قد سبقت بزمن مديد الآثار الشاميَّة. كيف لا ولدينا كتابات مسماريَّة وهيروغليفيَّة بل هياكل وابنية يرتقي عهدها الى الفي سنة قبل ظهور الفينيقيين

٢ جبال سورية. لجناب فضل الله افندي ابي حلقة اغلاط كثيرة في هذا الباب. فانهُ دعا مثلًا (ص ٩) باسم « آسوس » جبل كاسيوس او قاسيوس(١. ثمَّ افرط في تعيين علوّهِ فجعلهُ ٥٥٠٠ قدم بعلوّ جبل امانوس (ص٨) مع ان لا احد يجهل انَّ جبال امانوس اعلى من جبل كاسيوس بكثير — ومن اغلاطهِ (ص١٠) انهُ ذكر جبل ديما وجبل زين العابدين وجبل العلا (والصواب الجبل الاعلى) فألحقها بجبال النصيريَّة مع انَّ وادي العاصي يفصل بين هذه وتلك — ومنها انَّهُ جعل (ص ١١) علوّ جبل بلودان ٣٦٤٠ قدماً مع انهُ لا يتجاوز ١٤٠٠ متر — وفي هذه الصفحة ذاتها قد شحن بالاغلاط ما كتبهُ عن جبل حرمون ولو ذكرناها فردًا فردًا لطال بنا الكلام

ثم نسأل جناب الكاتب في ايّ آية من الانجيل الشريف وجد ان المسيح تجلَّى على جبل تابور (ص ١٦). لا نقول ذلك لاننا نكر التقليد الكنسي بهذا الخصوص كما نكرهُ بعض المحدثين ولكن أيصحُّ ان ننسب الى الانجيل ما لم يَقُلْهُ؟ وهذا دليل كافٍ على انَّ اصحاب المحبة الذين يكثرون المباحثات الدينيَّة كثيرًا ما يخبطون فيها خبط العشواء هداهم الله

ليس بحر الميت كما زعم الكاتب البارع (ص ٣٠) « اوطأ من البحر المتوسّط

---

١) قابل هذا الاسم بجبل قاسيون قرب دمشق ومن المحتمل انهُ دُعي بذلك لهيكل كان بعلوهِ بُني اكرامًا للاله المشتري (Jupiter Casius)

بـ ١٣١٢ قدماً او على مقياس آخرين بـ ٢١٢ متراً » بل الصواب انَّ سطحهُ دون البحر المتوسّط بنحو ٤٠٠ متر . وكذلك هيهات ان « تعلو حمص عن سطح البحر ١٧٣٠ قدماً (ص ١٢٥)

٣ اسماء مدن سوريَّة القديمة . في كتاب « جغرافيَّة سوريَّة وفلسطين » من هذا القبيل اغلاط لا تُحصى ولا بدع وصاحبها يجهل اللغات القديمة كاليونانيَّة والسريانيَّة والعبرانيَّة . ولا نلومهُ على جهلهِ لهذه اللغات ولكن نأخذ عليهِ ان يشتقّ منها الأعلام وهو لا يعرفها ولعلَّهُ نسخ بعض الكتب الادبيَّة دون تروٍّ فمن ذلك قولهُ عن حلب (ص ٦١) ان « اسمها القديمة بروة وتسمَّى بالسريانيَّة باروا ودعيت ايضاً بيريا » وجنابهُ لا يرى مع سعة علمهِ ان كل هذه الاسماء اسم واحد وهو اسم حلب باليونانيَّة — . وكذلك قولهُ عن حمص (ص ١٢٥) « ان اسمها القديم اميسا » كأنهُ لا يرى ان اميسا هو اسم حمص كما يلفظهُ اليونان والرومان . كما يقول الفرنج « سلادين » بدلاً من صلاح الدين لعدم وجود حروف الحلق عندهم — ومنها قولهُ عن حماة (ص ١٢٢) انها « قد تناوبت عليها اسماء مختلفة » ذكر منها في الحاشية « قلعة . وحصن . وسميت اولاً حمث باسم بانيها تكوين ١٠ : ١٨ » . وليس في كل ذلك شيء من الصحة فضلاً عن ان سفر التكوين في المحل المذكور لم ينوِّه باسم باني حماة البتة — واجمل من ذلك قول كاتبنا المحقق (ص ١٣٧) عن بصرى « ان الرومان دعوها نوفا ترايانا . . . وانَّها سنة ١٠٥ سُميت تراجان الجديدة » ولو كان لهُ المام باللغة اللاتينيَّة لرأى ان تراجان الجديدة تعريب « نوفا ترايانا » . وقال جنابهُ « انَّها دعيت ترايانا اسكندرينا نسبة الى القيصر اسكندر ساويروس وسنة ١٠٥ م سُميت تراجان الجديدة » وهو غلط فظيع كان امكنهُ ان يتجنبهُ بمراجعة اصغر تاريخ للرومان لان احداث المدارس نفسهم لا يجهلون ان ترايان سبق اسكندر ساويروس بمئة سنة — وكذلك ليس بصحيح ان القيصر اوغسطس الرومانيّ سمى بيروت كما زعم جناب المؤلف (ص ١٦٦) باسم « جوليا فيلكس على اسم ابنتهِ » والصواب انهُ دعاها جوليا باسم ابنتهِ وزاد على هذا الاسم لقب فيلكس اي السعيدة دلالة على حسن موقع المدينة لأنَّ فيلكس علمٌ للذكور لم يُطلق على النساء — ولا حاجة الى تنبيه القرّاء على ان دمشق لم تُدع قديماً (كما ذهب الى ذلك جغرافيُّنا العلاَّمة ص ١٠٠) باسم جلّق (راجع ردّنا في المشرق

ص ٦٦٨ على جناب خير الله ظاهر) . امَّا تسميتها بجيرون فخطأ وانّما جيرون باب من ابوابها . ونلحق بهذا الفصل اكتشافاً جغرافياً جديداً وهو أثر رآهُ جناب المؤلف بمجرَّد العين (ص ١٢٣) في حين كون المستشرقين لم ينظروهُ بالمجاهر وهي كتابة عجيبة على سور حماة فحواها « سور حماة بربّها محروس . وهذه الكتابة تقرأ على السواء مستوية كانت او مقلوبة » . والصواب انَّ لا سور لحماة منذ زمن مديد

٤ شتّى . ونختم هذه الملاحظات وليست هي الَّا برضاً من عدّ يعض ما وهم فيهِ المؤلف في ابواب شتّى . قد دعا جنابهُ (ص ٢٢) عرب الصليب « السليب » — وقد نسب (ص ٢٦) الى القديسة هيلانة بناء هي براء منهُ (راجع المشرق ٣ : ٢٨٩) — ومن عجيب مزاعمهِ قولهُ عن انطاكية (ص ٧٢) : « وكان يقيم فيها القياصرة الرومانيون اغلب الاحيان » ولم نكن نعلم حتى اليوم ان انطاكية كانت حاضرة لملوك الرومان — ومن اكتشافاتهِ عن سلميَّة (ص ١٣٠) « انَّ هذه القرية كانت من اعظم مدن العالم في ايّام اليونانيين » مع انَّ العلماء حتى اليوم لم يتثبتوا اسمها القديم ولم يجدوا فيها من العاديّات ما يسبق عهد البوزنطيّين — ولو اردنا تفنيد زعم المؤلف (ص ١٤١) عن جرش وعن وادي موسى (ص ١٥٨) لأدّى بنا الى الاسهاب الممل وفي ما سبق شاهد عن سعة علم صاحب جغرافية سوريَّة وتطفُّلنا على مائدة العلوم

ليلة الاهوال

معرَّبة عن الافرنسية بقلم شاكر افندي ابي ناضر

كان في سالف الايام في بلاد دوفنيه في فرنسة امرأة ارملة قد مسَّها الفقر والَّمت بها رزايا الدهر وكان لها ولد وحيد تكبَّدت عرق القربة في سبيل تربيتهِ حتى اصبحت في حالة من العوز والتعب لم تتمالك معها على مواصلة الجهد في خطَّتها الشاقة . فجعلت تجيل النظر وتمعن الفكر لعلّها تفتق حيلةً بها تتوصَّل الى سبب تصيب بهِ رزقاً فخطر لها حينئذٍ ان تبعث ولدها الذي لم يكن لهُ من العمر سوى سبع عشرة سنة الى رجل من معارف اسرتها حداد في مدينة ليون وهي واثقة ان ذلك الحداد لا يرد لها طلباً وان ابنها يتعلم عليهِ صناعة الحدادة فيستغني بها عن السؤَال ويتخلَّص من شباك الاهوال

وكان يوم فراقهما من اصعب الايام على قلبيهما فانَّ الفتى قام فتأبط صرَّةً فيها بعض الحوائج من جملتها كتاب « الاقتداء بالمسيح » استحلفتهُ امُّهُ ان يقرأ كل يوم صحيفة منهُ واخذ بعض قطع من النقود تيسَّرت لهُ وحمل ايضًا مؤونة اكثرت لهُ منها امُّهُ احتياطًا لهُ واشفاقًا عليهِ وركب غابر السفر وسار متوكلًا على رب البشر وقد شعر بألم الفراق حتى كاد لا يقوى على تكفكف دمعهِ المهراق ومسك نفسه عن التلفت مدةً رغمًا عن وصيَّة امهِ عند الوداع. غير انهُ وقف اخيرًا وظنَّ انَّهُ وصل الى حد لا يُؤاخذ معهُ بلفتةٍ حانت منهُ الى الوراء. فلم يرَ عند الأفق شيئًا ممَّا كان يظن بل وقع طرفهُ على بعض القرويين السائرين في الطريق امَّا امُّهُ فقد توارت بالحجاب

ولمَّا تيقن انَّهُ شطَّ مزارهُ وبعد قرارهُ هاجت منهُ الاشجان واشتدَّ عليهِ الحنان ففاضت منهُ العبرات واطلق عنان الحسرات ولم يقدر ان يمسك نفسهُ عن ذلك لما طرأ عليهِ من الافكار هنالك فاعياهُ مرّ الفراق وهالهُ بُعد التلاقي فانطرح على الحضيض وراح اسير الحزن والاكتئاب. فدار في خلدهِ ما مضى من زمن الصبا ومثّلت لهُ ذاكرتهُ ايامًا كان فيها خلي البال من البلبال يمرح في حلل الافراح ويرتع في عيش رحراح. وارتاح ذهنهُ الى الذكرى بماضيهِ معتاضًا عمَّا صوّر لهُ الفكر من أحوال المستقبل واهوالهِ ومشاقهِ واكدارهِ. وكان يحسب نفسهُ في ليون ماشيًا في زقاق مظلم منتن يجرّ رجليهِ في الوحول ويقابل هذه الحالة الشنعاء بالرياض الغناء والمروج الخضراء الحافَّة بوطنهِ العزيز

وكان يتصوَّر نفسهُ متمثّلًا امام ناظرٍ غليظٍ وهو ذو وجه أغبر اقتر عاملًا على ضرب المطرقة سحابة نهارهِ الامر الذي جعل قلبهُ يتفطّر من الحزن والكدر ممَّا استوى عليهِ من الخوف الذي لم يشعر بهِ من قبل وتبدل ما كان يتوهَّمهُ قبيل ذلك الحين من حسن الحال في الاستقبال بسوء المآل وخيبة الآمال وصار كحاطب ليل لم يضئ فيهِ سوى الشرارات المتطايرات من كور الحدادة في ليون. وبعد ذلك زال برقع الصبا عن عينيهِ وتزحزح وانكشف لهُ الاستقبال بحقيقتهِ واتّضح: وبقي على ذلك حينًا وهو خائف وَجِل ينتفض كما انتفض العصفور بلَّلهُ القطر

ثمَّ سكن جأشهُ بعد ان تنفَّس الصعداء مدةً ورجع الى نفسه منتبهًا فرأى بين يديهِ كتابًا حسن القالب مذهَّب الجوانب متقن الطبع جلدهُ الروسي مرسوم برسم مخصوص فعرفهُ انَّهُ كتاب الاقتداء. وكان في الكتاب صورة ملوَّنة تمثّل احد الاولياء

القديسين موضوعة فيه بمثابة علامة يهتدي بها القارئ الى الصحيفة التي قطع عندها قراءته. فاعتبر هذه العلامة من عنايات الله به وعلّق عليها امرًا خطيرًا كأنّ الله جعلها لاستلفات انظاره حتى يقرأ بامعان النظر الصحيفة التي هي فيها عساه يستفيد منها. فاخذ تلك الصورة وجعل يقلّبها بين اصابعه غير مبالٍ بها وقد استغرق في شجاه واغرورقت عيناه وما كانت حركاته الّا عفوًا. وفي اثناء ذلك رمى بنظره على بعض اسطر الكتاب واجاله فيها وهو لم يقرأ منها حرفًا لانهُ كان ينظر ولا يرى. لكنهُ لم يلبث في هذه الحالة طويلًا شأن الفتيان نظرائه بل انقشعت عنهُ غيوم الهواجس والهموم وتابت عنها في سماء السويداء بلجة ظنها دواء لدائه وفرجة في بلائه وما انتبه من خموله هذا وملك عقلهُ الّا كانت عيناه محدقتين بهذه الكلمات من كتاب الاقتداء وهي: «يا بنيَّ دعني افعل معك ما اشاء واريد فاني اعلم بما يوافقك»

فظنَّ الفتى ان الملائكة تهمس اليه بحديثها وسمع لها صدًى لذيذًا في قلبه فازاح عنهُ الاتراح وملأهُ من الافراح ونهض فقال للهاتف السرّي: اللهمَّ ان الحقَّ ما نطقت وها عبدك شاعر بالبلسم الذي وضعتهُ على جرحه وهو متكل على عنايتك يا ارحم الراحمين

ثم قال وقد ضمَّ الكتاب الى صدره: ان امي قد اصابت باعطائي هذا الكتاب النفيس فلا غرو ان لي منهُ عوذةً تقيني من الرزايا وحرزًا يحرسني من البلايا وكنتُ كمختلّ الشعور اظنُّ نفسي منفردًا وحدي ولم ادرِ ان في جانبي جليسًا انيسًا ونديمًا حميمًا ورفيقًا صديقًا امَّا الان فلم يروّعني السير غورًا ونجدًا

قال ثمَّ القى صرّتهُ على ظهره وتتبّع طريقهُ وقد دبَّ فيه نشاط جديد وثاب اليه همة كان القنوط قد هتك ستارها واخمد نارها ولاح لهُ ان يذهب الى اقرب المدن اليه وهي مدينة تبعد عن ليون نحو اربع عشرة مرحلة وان يستأجر منها احدى العربات المعدَّة لنقل الركّاب يطوف بها الحوذي تلك الناحية كأنها قافلة تلك الاصقاع وهي في الحقيقة كناية عن مركبة بلا لولب تجرّها الخيل فتقصف ظهر الراكب قصفًا وهي مكشوفة الجوانب ينفخ فيها الريح نفخًا ولا تسع الّا اثني عشر راكبًا غير ان الحوذي يثقلها ببعض المشاة من ابناء السبيل ويوسع خيلها ضربًا حتى تنهب الارض نهبًا

ولمّا كان عدد الركاب غير محصور رأى الفتى ان لا حاجة الى استئجار محلّ فيها قبل ان تأزف ساعة الرحيل وأنهُ اذا حضر قبل السفر يجد فيها لهُ محلًا فانّ الحوذي لا يحرّك قدمًا قبل ان يقبل عليها من الركاب عددًا يشغل جميع محلاتها. وهي كانت المركبة الوحيدة في تلك الايام التي تنقل الناس الى مدينة ليون وتصل اليها في مدة ثماني عشرة ساعة فقط. ولا عيب فيها سوى عجز يحمل الركاب على النزول تخفيفًا لحملها حتى تنهض به وصَخبٍ ينبئهم نسوة على ذراعيهنَّ اطفال لا ينفكّون عن البكاء والعويل

ورأى الفتى انهُ ينبغي لهُ ان يعدل عن المهيع العامّ ويسير في اقرب طريق بين الخمائل والحدائق حتى يصل في الوقت المعيَّن. وكان للطريق التي اتخذها مزيّتان الاولى قرب المسافة فيها والثانية امتدادها على حافة ساقية ماء فيها من انواع الاسماك ما يدهش النظر تعوَّدت الصبيان على المجيء اليها والصيد منها. فكان سير الفتى وسريان الماء متجهين جهةً واحدة كأن الماء ودَّ لو شارك الفتى بالابتعاد عن تلك الاراضي وما من احدٍ يقدر ان يشعر بشدَّة الوحشة التي تستولي على قلب امرئٍ فارق اوطانه ان لم يختبر ذلك بنفسهِ بحسب ما جاء من انهُ:

لا يعلم الشوق الّا من يكابدهُ ولا الصبابة الّا من يعانيها

فكم من رجل رفيع القدر واسع الفكر شاقهُ ذكر منزلٍ وطلل فشكى وبكى وكم من معنًى طاف الخرابات والرسوم وهو يُصعد الزفرات وتساورهُ الهموم وكم رأينا من راحل عاد الى الديار وما مسَّ تربها حتى بادرها بالتحيَّة والسلام وهو يحنّ الى احجارها واشجارها وانهارها واوكارها. وهكذا كان الفتى ينظر نظرة الحزين الكئيب الى تلك الزهور التي ما كان يخالها الناظر الّا بساطًا من سندس تتدبَّج بهِ ضفتا الساقية ويراوحهُ النسيم فيضرب باذيالهِ سطح الماء. وهو يسيل غير انهُ لم يرَ شيئًا غريبًا في ذلك لانهُ تعوَّد منذ نعومة اظفارهِ غشيان تلك الرياض وورود تلك الحياض. وكان يحسب انهُ يطيل المقام في الديار طالما هو يتبع جريان ذيّاك الجدول الصافي وينتعش بذياك النسيم الشافي وقد علم انهُ قطع الجسر الخشبيّ الاخير الذي كان يأتيهِ بعض المرات فيرمي امامهُ شباكهُ وحبائلهُ. وكان كلما قرب من المدينة زاد همهُ وغمّهُ ولم يرَ في ذلك امرًا ذا بالٍ وقد رأى من نفسهِ ضعفًا ما تعوَّدهُ من ذي قبل فتبلّل جبينهُ بالعرق واصطكت رجلاهُ فعمد الى كيس الزاد الذي معهُ واخذ منهُ فاكل ثم استراح في ظل شجرة حتى

تنشّط وقام بعد ذلك يواصل السير الى المدينة المقصودة

وهي مدينة صغيرة في سفح اكمة وراءها سلسلة من الجبال متسعة الجوانب بنيت في الجيل المتوسّط حتى تكون بابا يلج الانسان منهُ الى تلك الاكمة التي تحيط بها اسوار عالية امّا الدور فيها فلها وجهة عليـاء تلتصق بسقوفها وهي متراكمة على خط مستدير. فابتهج الفتى من هذا المنظر ابتهاجًا شديدًا بيد انّهُ رأى عند مدخلها مشهدًا خلاف ما رأى قبل ذلك فانّهُ كشف على سهل واسع انبسط امامهُ لا يقف الطرف لهُ على آخر. فتبدل شعورهُ عندما نظر تلك المفازة الشجواء كأنّها ام التنائف لا يتحرَّك فيها غصن ولا يسمع لها صوت ولا يرى فيها سوى قليل من البيوت التي يبعد بعضها عن بعض بعدًا شاسعًا ولاح لهُ ان القرويين مشغولون في غابة على جانب ذلك الموضع تراءت لهُ اطرافها عن بعد. فجاء هذا الهم القفر ضغثًا على إبالة وأثّر في ذهن الفتى تأثيرًا اسوَّد لهُ وجههُ وانكمش فؤادهُ

لكنهُ شدَّ عزيمتهُ وجمع قواهُ وجدَّ بالسير لا يلوي على شيء حتى انتهى الى جَذر شجرة مقتلعة مطروح على حافّة الطريق. فرأى عن بعد رجلًا جالسًا ينظر اليهِ وعليهِ ثوب خلق بالٍ ولهُ لحية مسترسلة لعب بها البياض غير انّ سمات وجههِ الساطعة ولونهُ الاشهب كانا يدلّان على عزيمة فيهِ يندر مثلها في امثالهِ من الكهول وكان متوكّئًا على عصا اشبه بالعكاز وقد استلفتت انظارَ الفتى غضونُ جبينهِ الواسع وعيناهُ الرماديّتان اللتان تقدحان شررًا فرآهُ لابسًا قبعة مثلّثة الزوايا كالجنود ملتفًا بلبدٍ مرقع وجميع ما تحتهُ من الاثواب على شاكلتهِ. امّا ذلك الكهل فكانت تظهر فيهِ من تحت تلك الخرق نظافة تعوَّدها وهو في سلك الجنديّة في عهد الشباب

فلمّا تقدَّم الفتى اليهِ علم ان ذلك المسكين يمشي على ساق من خشب فاهتمَّ بامرهِ واخذتهُ شفقة عليهِ ومدَّ يدهُ الى جيبهِ ليعطيهُ قطعة من النقود فانّهُ كان في قلبهِ عاطفة نحو الجنود الجرحى ورثها عن عمهِ وخالهِ اللذين كانا ضابطين في الجندية

ثمَّ اتخذ الاثنان من ذلك الجذر مقعدًا جلسا عليهِ وحينئذٍ رمى الفتى بفلس الى ذلك الفقير فظهرت على اسرّتهِ علامة البشر وقال: «جاءت هذه الحسنة في محلها ما كان اشد احتياجي اليها لاشتري ما يلزمني من التبغ والشراب فان كيس تبغي فرغ وقرعة شرابي جفّت فاصبحا افرغ من قلب ام موسى حتى تذكرتُ ما قاسيتُ من العطش وانا

في حرب مصر يوم جفّت الآبار واشتدّ الأوار . ولكن لا شلّت يمين الشبان الذين تأخذهم رأفة على من كانوا ولم يفتأوا ابطالًا . بارك الله فيك ايها الفتى وحفظ لك ساقيك من الاذى »

فقال الفتى وقد استراح بجلوسهِ على ذلك الجذر: هل انخرطت في سلك الجنديّة ايها الرجل

قال: خدمت فيها عشرين سنةً لم ادع بلادًا ألّا طفتها ولكنّ ما اصبت بهِ من كسر ساقي في بلاد اسبانية الجأني الى الاوبة الى فرنسة واقعدني عن الاقدام على الاسفار الطوال

قال: يصعب عليك اذن ان تسير. — قال: لا يخدعنك ظاهري فاني وان كان لي ساق من الخشب حزت قصب السبق ان تسابقنا معًا وجعلتك تتوب عن السباق بعدها وان كنت في شرخ الشباب. فانهُ لا يمرّ عليّ اسبوع ألّا سرت اكثر من ثلاثين مرحلة وانا على ما تراني عليهِ من الهمّة والنشاط ومررت بتطوافي هذا بكثير من القرى ولا اسأل احدًا اكلًا ولا شربًا فان الله يتيح لي ذلك عفوًا واذا مسّت الحاجة احيي الليل والنهار طاويًا الحشى على الطوى لا امضغ مضغةً ولا ابلع جرعةً فان هذه الحالة غير تلك التي كنت عليها وانا اسير في بلاد مراكش. وتعوّدت ألّا اشتري زادي وان كنت في عوزٍ الى بعض الدراهم فهذا لا يكون ألّا لسدّ ما احتاجهُ من التبغ والشراب مع أني است بسكّير. — قال: يعرفك اذن كل اهل هذه الناحية ؟

قال: كيف لا وانا اشهر من نار على علم

ويذكرني قومي اذا جدّ جدهم ... وفي الليلة الظلماء يُفتقد البدرُ

وانا جُهينة الاخبار ومسلّي الاولاد الصغار صانع السيوف الخشبيّة والالعاب الصبيانيّة ضابط الساعات وعارف الاوقات مروّح الافكار بتصايح الاوتار ومزيل الاسقام بترقيع الانغام وشافي الحيوان من اوبئة الزمان وراوي القصص في الليالي ومطيّب خاطر الاهالي. فثق ايها الفتى اني اذا جئت اطرق اول باب عنّ لي وانا فيهِ اكرم ضيف عرا. لان افتقار القرويين اليّ اشدّ من افتقاري اليهم ولهم عندي مكانة وكرامة ولا تظنّ ان لا لبد عندي ولا سبد واني متروك من كلّ احد في هذه البلد

قال: اني لا ارى لك في مثل الطريق التي تسلكها كبير لذّة فانك معرض للشدّة والضرّاء ولاسيما في فصل الشتاء

قال: قد اشوى سهمك واخطأ حكمك فان اختلاف الفصول لا يسبب لي الاذى واني لو شئت ان اسكن في بعض الاماكن المأهولة لكان سعي في إسكاني ثمة الف صاحب وصديق وان كان ليس عندي سعة ولا معنة غير أنهُ ليس لي طاقة ان اقيد نفسي بالازمنة والامكنة او أقسرها على بعض المآكل والمشارب دون بعض واني في حالتي التي انا عليها ليس لاحد عليَّ أمرٌ اذ جعلت نفسي وقفاً لعموم الناس. واراك تضحك مما تسمع فلا بأس لان الواقع هو كما بسطتُ لك وازيدك فيهِ اني احبّ السرى وتعجبني السماء وهي مقمرة ودربٌ أنقي فيَّ غير مطرد ومألوف ولكني راض بنفسي ولا يحمد غدوّي امسي. ولي عند بعض القوم بعض المعروف فاني احبّ حسن الصنيع واصبح ذلك من دأبي. هذا وقد ظهرتَ لي الان ذا ادبٍ سليم النيَّـة صافي السريرة فان كان لك حاجة في هذه الناحية قُلْ غير مكلَّف فاني اقضيها لك في الحال بطيبة خاطر

فقال الفتى: ان جل ما اطلب اليك التفضُّل بهِ انما هو ان تفيدني عن المسافة التي تحول بيني وبين اقرب فندق اقدر ان اصل اليهِ فابيت فيهِ هذه الليلة فإنهُ قد اعياني السير ولم يعد لي قدرة على مواصلتهِ

فبادره ذلك الجنديُّ وقال: لا تخف ايها الفتى ولم يبقَ عليك الآن الا ان تقطع مسافة ساعتين فقط واعني بقولي ساعتين طويلتين تسير فيهما حثيثًا وتجدُّ جدَّ الرجال العداة

فقال: أصحيح ما تقول من انهُ لم يبقَ لي سوى سير ساعتين وانا ان صحَّ لي فراش اطرح عليهِ ابذل دونهُ نفسي. فقال الفتير: لو مارست يا صاحبي الحرب لكنت الآن غير ما انت عليهِ ولكن ما لي ولهذا الحديث فلا علاقة لي بهِ والخروج عن الصدد في الكلام الى ذكر الجيش والحرب ديدنٌ ألفهُ الجندي منذ القدم. نعم ايها الفتى ترى بعد ما تقطع نصف مرحلة منزلاً حولهُ كثير من النبـات تقدران تبيت فيهِ وهو معروف في هذه الناحية بفندق البغّالين ولكن ليس لهذا الفندق سمعة طيّبة ولو استشرتني لاشرت عليك ان تواصل سيرك الى مدينة بوندور حيث تجدا اكلاً فاخرًا وفراشًا وثيرًا واني اراك شابًا نشيطًا متعافيًا فجدَّ بالسير اليها

فنهض حينئذٍ الفتى وقال انني اشكرك على ما أبديتـه لي من المعروف وها اني الان شـارع بالذهاب الى حيث تدلني بحسب اشارتك واخاف ان اكون من الان متأخرًا قليلاً فان النهار في هذا الفصل قصير وقد ادركنا الليل فاستودعك الله يا صاح

قال ثم انبرى يعدو حتى لانت ساقاه ولعب التنفس في صدره (ستأتي البقية)

مطبوعات شرقية جديدة

I Manoscritti Arabi, Persiani, Siriaci e Turchi
DELLA BIBLIOTECA NAZIONALE DI TORINO
illustrati da C. Alfonso Nallino, Torino, 1900, pp 101

فهرست المخطوطات العربية والفارسية والسريانية والتركية في خزانة كتب تورينو الشرقية

كان الدكتور اغناطيوس غويدي الشهير باشر سابقًا بتدوين اسماء المخطوطات الشرقية المصونة في حواضر ايطالية فوصف منها قسمًا مهمًا ولم يكفّ عن العمل حتى حالت دون انجازه عوائق شتى. ومما لم يدوّنهُ الدكتور المذكور مخطوطات المكتبة الملكيَّة في تورينو فحصر الدكتور كرلس نلّينو عن ساعد الجد ليسد هذا الخلل فوصف هذه التآليف وصفًا وافيًا بتعريف اصحابها ومضامينها وزمن كتابتها وفوائدها المختلفة. وهذه المخطوطات عبارة عن ١٠٩ كتاب اغلبها عربية وفيها قليل من الكتب الفارسيَّة والتركيَّة. ثم اضاف الى وصف هذه الكتبخانة اسماء ١٢ كتابًا آخر بالعربية والسريانيَّة في المكتب العلمي من المدينة ذاتها. فنحن نشكر لمؤلف هذا الفهرست اثرهُ هذا الجديد ونتمنَّى ان يتحفنا قريبًا بفهارس غيرها من المدن الايطاليَّة. وان سمح لنا المؤلف بابداء ملاحظة قلنا انَّهُ وهم (في الصفحة ٧) باسم صاحب كتاب « خلاص الخطأة » فنقل اسمهُ « يوسف باسم قسيس المصور » *Giuseppe Bâsim* sacerdote pittore والصواب ان اسم المؤلف « يوسف المصوّر » امَّا « باسم قسيس » فهي كلمة يضيفها الكهنة الى اسمهم تواضعًا (indegno sacerdote)

برنامج المكتبة الخالدية العمومية

اسّست في القدس الشريف سنة ١٣١٨ هجريَّة

انَّ غُرف القراءة تجمع فيها انواع الكتب الدينيَّة والدنيويَّة لمن اشدّ الحاجات واهمّ الضروريات اللهمَّ اذا كانت هذه الغرف مشيَّدة لخدمة العلوم والوطن فقط لا للمجادلات الدينيَّة او ترويج الغايات الشخصيَّة كما فعل البعض في مدينتنا. وعليهِ فقد سرَّنا ان صاحب المكرمة الحاج راغب افندي الخالدي الديري مع بعض وجهاء

عترته الكريمة اقام غرفةً في القدس الشريف جعلها دار علوم عمومية لكل من اراد المطالعة فيها بشرط ان لا يخرج منها كتاب حرصاً على المنفعة العامَّة. وقد وكل الاديب المذكور تدوين فهرست هذه المكتبة لجناب الهام ابي الخير محمد افندي الجبَّال فاتمَّهُ بوقت قريب مع كثرة اشغاله ونشرهُ بالطبع. وقد اهدى جناب المؤلف نسخة من هذا البرنامج الى مكتبتنا الشرقيَّة فتصفَّحناهُ ووجدنا انَّهُ يحتوي نيِّفًا والف كتاب من كلّ اصناف العلوم قسمٌ منها مطبوع وقسمٌ مخطوط. وكلُّ من شاء نسخ كتاب ونشرهُ على ذمَّته يُرخَّص لهُ بذلك. فنثني اطيب الثناء على صاحب هذا المشروع وعلى صاحب برنامج المكتبة الخالديَّة ونتمنى ان يقوم في كلّ مدن الشرق من يأتسي بهذا المثل المحمود تعزيزًا للعلم واعلاء لمنار الآداب

كتاب ردع الوقاحات البروتستانية

بقلم القس بطرس عزيز نائب بطريرك الكلدان في حلب ص ١٠٠

هو ردٌّ على كرَّاسة موقَّعة باسم القس انطونيوس شرقي الحلبي نشرها في اميركة بعد جحوده الايمان الكاثوليكي وحاول ان يبيّن فيها « انَّ نور الانجيل المحض » قد لاح لهُ فتمذهب بمذهب لوثاروس واشياعه. ثمَّ ما اكتفى بذلك حتى قذف الشتائم شأن امثاله على الكنيسة الكاثوليكيَّة وارباب الكهنوت لاسيما كهنة الشهباء الافاضل. فاستاء الحلبيون من هذه الاكاذيب وناب عنهم حضرة القس المفضال بطرس عزيز في الردّ على هذه الترَّهات وبيان فسادها وذلك بطريقة سهلة وحجج دامغة تدكُّ اساس الاصلاح الموهوم دكًّا ولا تدع شبهةً لكل طالب حقّ. جزى الله خيرًا كاتب هذه الرسالة ومتَّع الشرق بعلمه زمنًا طويلًا

الخزانة

مجلَّة شهرية في السياسة والادب لصاحبها الاديب يوسف الخازن

تصفَّحنا العدد الاوَّل من هذه المجلَّة فاذا فيها بعد الافتتاح ثلاث مقالات سياسيَّة وادبيَّة حسنة هذه عناوينها: امالي سياسيَّة لاسكندر شاهين ثم طبقات الرجال (رياض باشا) لصاحب الخزانة ثمَّ حديث اليوم ليوسف البستاني. وفي اثر ذلك بعض الشذرات. ولكن قد ساءنا جدًّا انَّ صاحب الخزانة المعروف بدينه وادبه رضي بتدوين

الرواية الاخيرة المدعوة ضحيَّة الحبّ المعرّبة بقلم نجيب افندي مشعلاني. فان هذه الرواية مبنيَّة على حادث كلُّهُ محض افتراء. وكذب فضلًا عن انهُ يمسّ احساسات الكاثوليك. امَّا نحن اليسوعيين فأنَّا نقيم الحجَّة على ما جاء في هذه الرواية من الزور والبهتان في حقّ احد آباء رهبانيتنا فانَّ كل ما ورد في هذه الحكاية عن الاب لويس داليانا لا اساس لهُ بل لم نجد في تواريخ رهبانيتنا المطولة حتى اسم هذا الاب فضلًا عن ان اليسوعيين قد حُظر عليهم في قوانينهم ان يقبلوا رتبةً في ديوان التفتيش. وان قال صاحب الخزانة ان هذه روايةٌ والروايات يغلب عليها التخيُّلات اجبنا انهُ عار على مصنّفي الروايات وناقليها ان يشنّعوا على الدين واصحابهِ لتفكيه القرَّاء. وليس لهم في ذلك عذر البتَّة. وان جرت الخزانة على هذه الطريقة فما لنا الَّا ان نحظر الكاثوليك والادباء عن قراءتها ل ش

شذرات

شكر واعتذار ارسل الينا بعض الكهنة الافاضل والقراء الادباء تقاريظ نثريَّة وشعريَّة في مديح المشرق ومحرّري مقالاتهِ. فنشكر لاصحابها مستميحين منهم عذرًا لعدم تدوينها لانَّ غاية ما نطلبهُ من عملنا مجد الله وخدمة الوطن لا ننتظر بدلًا منهُ جزاء آخر غير ثواب العبيد الامناء المتاجرين بوزنات سيدهم

كنيسة القديسة هيلانة الملكيَّة على جبل الزيتون كان حضرة الاب العلامة كراي (Cré) من الآباء البيض بيَّن بشواهد قديمة انَّ القديسة هيلانة كانت بنت بقرب كنيسة الصعود على جبل الزيتون كنيسة اخرى ملكيَّة تدعى اليونا (Eleona) فوق المعبد الذي يُعرف اليوم بمعبد دستور الايمان (Credo). بيد ان كثيرًا من العلماء انكروا عليهِ ذلك. حتى انجلى الامر تمامًا في هذه السنين الاخيرة ومن جملة الشواهد الحديثة التي تؤيد قول الاب المذكور شهادة للقديسة سيلڤيا في رحلتها الى الاراضي المقدسة في القرن الرابع. ومنها اكتشاف فُسَيفساء مادبا التي فيها حدود الاراضي المقدسة واسماء امكنتها المكرَّمة. وقد ساعدهُ الحظّ في هذه السنة

على وجود برهان ثالث مبني على اثر قديم يرتقي الى القرن الرابع وهو الفسيفساء التي تزين القبة التي تعلو الهيكل (abside) في كنيسة القديسة پودنسيانا الشهيدة في رومية . وفي هذه الفسيفساء صور كنائس القدس القديمة كما كانت في عهد القديسة هيلانة ومن جملتها كنيسة اليونا

اكتشافات جديدة في بابل وُفق المسيو دي سرزك العلامة الفرنسي الى اكتشاف عاديات جديدة في بابل ونواحيها . فمن ذلك عدد وافر من الكتابات الاشوريَّة المطبوعة على الآجرّ . ومنها كتابة اخرى رُقمت على صفيحة ذهبية وهذا اول اثر من هذا الصنف وجد في تلك الاصقاع لان الكتابات البابليَّة المعروفة الى عهدنا مكتوبة كلها على الآجرّ والبرونز ليس الّا

المقتطف وبنو اسرائيل زعم المقتطف في عدده الاخير (آب ص ١٨٤) ان العلماء لم يجدوا دليلًا اثريًا على « خروج بني اسرائيل من مصر ولا لاستعبادهم فيها ولا لنزولهم اليها » فسنردّ على قوله هذا في عددٍ قادم

بطلان عثمانيَّان قرأنا رسالةً ارسلها من الترنسفال الى جريدة لبنان حضرة العالم قاضي زاده احمد طاهر ذكر فيها ما ابداهُ بطلان عثمانيَّان من الشجاعة والبأس في حصار مفكين فاستوجبا لهما وللدولة العليَّة التي هما من ابنائها الثناء العاطر . قال:

اتفق ان كان معنا في جملة المحصورين رجلان من ابناء جبل لبنان وهما الخواجا جبرائيل بشاره وابن اخيهِ سليم اسعد بشاره من بيت الدين فتقلد كل منهما السلاح ودخل ساحة الوغى وفي قلبهِ ما فيهِ من الشجاعة العربية التي لا ينكرها الّا كل مكابر ولله در لبنان ورجاله الابطال فقد بدا من جبرائيل بشاره المومأ اليه من الشجاعة وقوة البأس ما حير عقول فحول الانكليز : فما مرَّ عليهِ وهو في آن الكفاح اكثر من ثمانية ايام حتى اصبح برتبة جاويش وابن اخيهِ ارتقى في بضعة اشهر الى رتبة اونباشي

وقد وقعت الوقعة الاولى في اليوم الثاني اذ هجم الانكليز على قلعة البوير وهم متحصنون في القلعة باكياس مملوءة من التراب وكان الخواجا جبرائيل في جملة الهاجمين

وقُتل من الانكليز ٥٤ لتعرضهم لنيران البارود من داخل القلعة اما جبرائيل فقُتل فرسه وهو هاجم على القلعة ولبث هاجماً حتى ادرك القلعة . واول كيس اخرجهُ منها اخرجهُ وابنُ اخيهِ يحمي نفسه ويحميه باطلاق الرصاص من غدارته الى داخل القلعة . وقد فعل الانكليز كذلك فاخرجوا الاكياس وفتحوا بابين من القلعة ووثب جبرائيل فدخل القلعة من باب منهما والبوير يقولون عن جبرائيل « انهُ عفريت من عفاريت جهنم » . ولا تسل عن الفرح الذي حصل عند رجوع القوم غانمين ثلاثة مدافع وثلاثة وعشرين صندوقاً من الذخائر وكان جبرائيل قد غنم ترسين من الزنجيين فجعل يتثاقف بهما مع ابن اخيهِ والانكليز يعجبون بهما وبشجاعة ابناء العرب وحذقهم في ضرب الحسام

ولما دخل القوم البلدة والناس في هياج شديد من شدة الفرح صافح الجنرال الضابطَ « فس كلادن » ثم التفت الى الخواجا جبرائيل وابن اخيهِ سليم وصافحهما وشكر بسالتهما فكان لهما عنده منزلة محفوظة حتى الآن

بعدئذٍ اشتدَّ الحصر علينا حتى اكلت الناس الخيل والبغال والحمير والزنجيون اكلوا الكلاب فلما تحقق عند البوير ضعف الانكليز من شدة الجوع هجموا ليلاً وقتل في تلك الوقعة فرس الخواجا سليم وكان قتل الركبة سبباً في سلامة الراكب لانهُ لم تكد الركبة تخرّ الى الارض حتى جازت من فوقها قذيفة من قذائف المدافع

وقد نال الخواجا جبرائيل وابن اخيهِ جائزة من الجنرال عن ذلك اليوم ١٥ ليرة انكليزية لكل منهما في جملة من نال الجوائز من الانكليز وذلك بعد ان تناولا العشاء عنده وما مر على ذلك اكثر من يومين حتى جاءنا المدد من كمبرلي فشتت شمل البوير »

اصلاح اللغة

قد تأخَّرنا في الجواب على ما عرضهُ علينا احد مراسلينا الافاضل بخصوص تعريب بعض المفردات الغربية والتراكيب الاعجمية فسأل ما هي الطريقة المثلى في استعمال مثل هذه الالفاظ ان تبقى على صورتها الاعجمية مع حُسن دلالتها او ان يُلتجأ في تخريجها الى الفاظ مرادفة لها رغماً عن غرابتها وصعوبة استعمالها . فكان اوَّل من اجاب الى دعوة حضرتهِ جناب الشابّ الاديب الملم يوسف افندي الفاخوري نعرض هنا رسالتهُ دون ان نبدي في قوله رأينا :

حضرة الاب الفاضل مدير المشرق المنير

عثرت في العدد الثالث عشر من مجلتكم الزاهرة على اقتراح لمراسلٍ فاضل انكر فيهِ على الكتبة استعمال « آنسة وعقيلة » بمعنى « مدموازيل ومدام » ثم اقترح على علماء اللغة وضع مرادف لكلّ من « كَرَاف وجاط وكبَّاية وسوبيرا وطرَّاحة » ومعنى يُؤدي بهِ هذه العبارة في العربي الفصيح وهي : Bossuet est un homme de génie

فليسمح لي حضرتهُ ان اجيبهُ بما عنَّ لي فاقول:

لا ارى مانعًا من استعمال لفظتي آنسة وعقيلة بمعنى « مدموازيل ومدام » لانهما وردتا في قول الشعراء الاقدمين فضلًا عن المولدين كالبحتري وغيره . فان عنترة قد استعمل الآنسة بمعنى الابنة التي لم تتزوَّج في قولهِ بمعلَّقتهِ :

« دارٌ لآنسةٍ غضيضٍ طرفُها » البيت

واما العقيلة فقد وردت في شعر طرفة اذ قال:

فمرَّت كهاة ذات خيفٍ جُلالةٌ عقيلةُ شيخ كالوبيل يلندد

واني على يقينٍ من ان علماء اللغة الاقدمين لو جرى في ايامهم البحث عن هاتين اللفظتين « مدموازيل ومدام » لتروَّعوا من استعمالها بلفظهما ولهم في لغتهم ما يقيمونهُ مقامهما . وان قاعدة التعريب كان يجري عليها الاقدمون حينما لا يتسنَّى لهم وضع مرادف عربي بحت بان يبدلوا بعض الحروف من بعضها او يزيدوا عليها او يؤخروا فيها . ومن طالع كتب اللغة تبيَّن صحَّة القول فضلًا عن ان للغة العربية اوزانًا لا يجوز العدول عنها الى غيرها . واما معنى : Bossuet est un homme de génie فيؤدَّى بالعربية على نحو قولهم « بوسيت رجلٌ بارع » او « بوسيت داهية » ويضاف الى هذه اللفظة ما يوافق المقام فكما قال زيدٌ داهية حربٍ وفي الحرب داهية قال: بوسيت داهية وفي العلم داهية . وان هذا قريب من الصواب . واما ما يرادف تلك الكلمات الاجنبيَّة والعامّية فهو المِقدح او المِذنب « للكراف » . والقصعة « للجاط » . والجفنة او الدسيعة « للسوبيرا » . والكوب « للكبَّاية » والطرَّاحة ترادفها حُشيَّة تصغير حَشيّة وهي الفراش المحشو وقد وردت في معلَّقة عنترة في قولهِ :

وحُشيَّتي سَرجٌ على عبل الشوى نهدٍ مراكلهُ نبيل المحزمِ

ويحسن ابقاؤُها على لفظها وذلك من باب تسمية المفعول باسم الفعل الواقع

عليهِ وان صيغة فعَّالة للمبالغة كعلَّامة وسُمِّيت بذلك لكثرة طرحها وجلوس الناس عليها كما سُمِّيت السجَّادة لكثرة السجود عليها — . هذا واني اخدم ابناء الوطن بمرادفاتٍ جليلة الفائدة وهي : المنام بمعنى « الدرتوار » والمِحفظ « للكارتابل » والمِظلَّة « للترانسباران » والمقلمة « للبلومو » plumeau . ذلك ما سنح لي من الخواطر بشأن هذه المرادفات فمن يتكرَّم علينا بما هو اقرب من الصواب كنَّا لهُ من الشاكرين وبما ان حضرة المقترح قد مهَّد السبيل للدخول في هذا البحث الجليل فلا بأْس ان نقترح على حضرات اللغويين وضع مرادفٍ لكل من الالفاظ الآتية وهي :

كونسول . بيرو (burcau) . طَوان . سينمتوكراف   كاتبه يوسف فاخوري

ثمَّ وردتنا رسالة ثانية من جناب الاديب عبد الكريم نوري احد تلامذة مدرسة الشرفة العامرة قال فيها : ان « كراف » وعاء للماء يقابلهُ لغةً سِقاء وقربة . ثم « كبَّاية » يقابلها لفظ الزجاجة والكوب والقدح وان كانت مملوءة فهي كأس . ثم « جاط » يقابلها لفظة القصعة والصحفة ج . صِحاف . ثم « طراحة » يقابلها لفظ زربيَّة ج . زرابيّ . امَّا « سو بيرة » فلم ألقَ لها من كلمة تماثلها لغةً . وشرح الجملة الافرنسيَّة « ان بوسوي رجل ألمعي او لوذعي » واخص ذلك « نابغة »

وقد كتب لنا ايضاً حضرة الاب الفاضل الخوري فرنسيس الشمالي رسالة عرض فيها ترجمة العبارة الفرنسية بهذه الجملة « ان بوسيط لرجل نابغة » لانَّ لفظة نابغة تؤدي معنى génie اكثر من غيره

اسئلة واجوبة

س سأل حضرة الاب جبرائيل زين هل طُبع كتاب في اسماء الاعلام وعد بنشرهِ المعلم بطرس البستاني في آخر قاموس محيط المحيط

معجم لاسماء الاعلام

ج لم يُطبع هذا الكتاب وانَّما تقوم مقامهُ دائرة المعارف لما تشملهُ من اسماء الاعلام

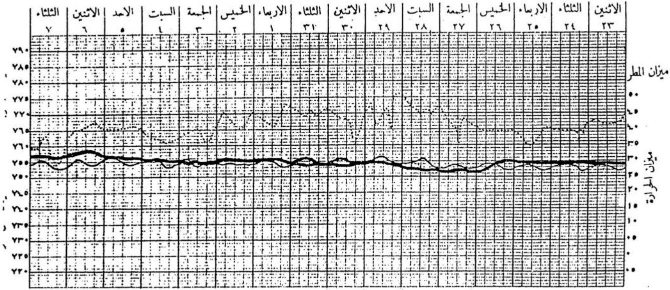
س وسأل القس نعمة الله الشهابيّ ١ً لايّ سبب كهنة اللاتين يلفظون كلام التقديس بصوتٍ منخفض لا يسمعهُ الشعب مع ان السيد المسيح لهُ المجد لفظ الكلام الجوهري بصوت عالٍ على مسمع من تلاميذهِ في العلية المقدسة . ٢ً لاي سبب الكاهن اللاتيني يكسر الجوهرة بالصينية على الاندغيبي . والحال ان السيد لهُ المجد قد كسر الخبز بيديهِ المقدستين . ٣ً لاي سبب الكاهن المذكور اعلاه يتناول الجسد والدم دفعة واحدة بدون ان يبقي جزءًا منهما لنهاية القداس . (اي عند دورة الكأس)

تعليل بعض الطقوس الكنسيّة

ج نجيب على (الاول) ان الكنيسة اللاتينيّة اجمالاً فرضت على كهنتها التقديس اليومي بصوت منخفض لان ذلك باعث لتقوى المؤمنين وعبادتهم . وخفض الصوت في الكلام الجوهري عند اللاتين داعٍ آخر وهو صيانة اسرار الكنيسة من الابتذال . قيل ان البابا اينوكنت الثالث في القرن الثالث عشر امر بذلك لان بعض الجهال كانوا يجاهرون بهذا الكلام السريّ الشريف في الشوارع والازقّة . امّا الكنائس الشرقيّة فبقيت على عادتها القديمة وكهنتها يعلون صوتهم عند لفظ الكلام الجوهريّ ليؤمّن الشعب عليه — نجيب على (الثاني) ان السائل وهمَ بقوله ان الكاهن اللاتينيّ يكسر الجوهرة بالصينية على الاندفيميّ (palle) والصواب انهُ يصنع فقط على الجوهرة علامةً بالصينية ليسهل كسرها بيديهِ في الوقت المعيّن — نجيب على (الثالث) ان الكاهن اللاتيني يصنع ذلك دفعةً واحدة لسببين: الاوَّل لانهُ لا يناول المؤمنين من هذا الجسد او الدم الذي بيدهِ كما يفعل الكاهن الشرقيّ وللتربين احقاق خصوصيَّة يحفظون فيها القربان للمؤمنين . والثاني لانَّ الكهنة اللاتينيين يباركون بالقربان خارجاً عن القدّاس برتبة معلومة تدعى الزيّاح . امَّا الشرقيّون فانَّهم يبقون قسماً من الجسد والدم ليباركوا بهِ الشعب في آخر القداس ل . ش

اصلاح بعض اغلاط طبعية : ص ٥٥١ س ١٤ « استُدعي » والصواب « استدعى » = ص ٥٥٣ س ١٠ « كرونس » والصواب « كروس » = ص ٥٩٥ س ٦ « اظافرهُ » والصواب « اظافيرهُ » = ص ٥٩٦ س ١٤ « هذه الدعاء » والصواب « هذا الدعاء » = وفيهما « زندهُ » والصواب زندهِ = ص ٥٩٧ س ٢٣ « الى السرعة » والصواب « الى السرقة » = ص ٦٣٨ س ٦ « سنة ١٨٦٢ » والصواب « ١٨٥٢ » = ص ٦٣٩ س ٢ « البطريرك بولس مسعد » والصواب « يوسف الخازن » = وفيها س ١٩ « مرّةً » والصواب « مدةً » = ص ٦٤٠ س ٤ « لادريار » والصواب « ديبار » = ص ٦٤١ س ٢٢ « فرًا » والصواب « فرّوا » = ص ٦٤٢ س ١٠ « رفض » والصواب « قبل » = ص ٦٤٤ س ١٧ « مزادنة » والصواب « مزدانة » = وفيها س ١٨ « محدود » والصواب ممدود = ص ٦٤٦ س ٧ « حبيب » والصواب « نجيب » = وفيها س ٢٢ « عناتي » والصواب « عيشاوي » = ص ٦٤٧ س ١٢ « عبد الله » والصواب « عبد الاحد » . امَّا صاحبا السعادة الامير امين ارسلان وسليم بك عمّون المذكوران بين تلامذة مدرسة عين طورة فقد ذُكرا سهوًا فانهما لم يتلقيا العلوم فيها . = ص ٧١٨ س ٢٤ « اقامة الطقوس » والصواب ان يزاد « بالسريانيَّة » = ٧٥٢ س ٨ « اسمها القديمة » والصواب « اسمها القديم »

قائمة للآثار الجوّيّة من ٢٣ تموز الى ٧ آب ١٩٠٠



انّ الخطّ الضخم (——) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتابع (----) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امّا الخطّ المنقّط (٠٠٠٠٠) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالمِلمترات وعُشر المِلمترات